رواية
أنثى لا تُنسى
فاطمة الكحلوت

الحمد لله أن قُدر لي أن أكتب لكم هذه الرواية لتبعث في قلوبكم مشاعر دافئة ومليئة بالحب، إن المرأة حتى وإن مر عليها خريفٌ كامل وتساقطت أحلامها وفارقها أحبابها تؤمن بأنها ستزهر يوما ما.

(الفصل الأول)

إنها واحدة من الليالي الطويلة التي لا أستطيع أن أغمض فيها عيوني وأنام شيء ما عالق في صدري ولا أستطيع التخلص منه، أعلم أنني أخطأت كثيراً في حبك، لقد كنت مجنونة بك ولا أعلم أن النهاية ستكون بهذا القدر من الألم، لكنني لن أتساقط كأوراق الأشجار بل سأقاوم فصل الخريف وسأكون قوية بما يكفي لأنني الآن أنتظر السعادة التي ستغير حياتي، ستجعلني أَزْهَرَ ومن جديد وسأغلق حينها نافذة ذكرياتك وإلى الأبد. . .

رن هاتفي في ساعة متأخرة من الليل، ازدان خفقات قلبي، ارتجفت يداي أمسكت الهاتف ووضعته على أذني شيء ما تبعثر في داخلي

- الواو من معي؟ وإذ هو بصوت رجل

-أنا عمر هل أنت مريم؟ قلت له لا لست مريم اعتذر مني فقلت له لا بأس لا عليك أغلقت الهاتف وعدلت جلستي علي السرير، رفعت شعري المنسدل عن ظهري، شيء ما جعلني أبكي وبحرقة، اعتقدت بأنك أنت، اشتقت إلى صوتك. . . صوتك الذي اعتدت عليه، ما زلت أتذكر أول مكان ذهبنا إليه حينها قلت لي حبيبتي تفاجأت كثيرا وقلت لك حبيبتك من البداية؟ ! لكنك كنت واثقاً من نفسك فقلت لي أجل حبيبتي من الآن، ضحكت كثيراً وشعرت بأن قلبي ينبض لك ولحبك، وبدأ وجهي يتحول إلى اللون الأحمر من الخجل كنت سعيدة حينها. . .

فمنذ البداية وأنت تخبرني بأني حبيبتك، أما زلت تذكرني؟ ! أما زلت أسكن قلبك أم أصبح موطناً لأحد غيري.

استلقيت على السرير ووجهت نظري إلى الأعلى ثم نظرت إلى أعلى النافذة لأرى جزءاً من السماء تنيره بعضاً من النجوم، تأملتها وشعرت بأنها قريبة أستطيع أن ألمسها لكنها بالحقيقة بعيدة جدا تشبهك يا علي فكم أنت بعيد ولا أعرف عنك شيء لكنك قريب هنا في هذا القلب.

الفصل الثاني (سلمى)

لبستُ فستاني الطويل المليء بالورود ذات اللون الأخضر ورفعت شعري الناعم عن وجهي، وقفت عند المرآة وتأملت نفسي، تقول لي أمي دائما بأنني أكثر شبهاً من والدي الذي لا أعرف شكله ولا أي شيء عنه، وضعت زهري الشفاه ثم حملت حقيبتي الصغيرة وخرجت من المنزل وقفت عند أول الشارع انتظر صديقتي ياسمين بالقدوم رأيتها تأتي من بعيد تجاهي تردتدي بنطالاً واسعاً وقميصاً ذو خطوط زرقاء بينما تحمل على كتفها حقيبة بنية اللون، ألقت التحية علي ثم أمسكت بيدها وقلت لها لنذهب فقالت أجل. الحي مليء بالناس، الأطفال لا يملون من اللعب، وكل واحد غير ذلك منشغل في عمله.

ياسمين: -انظري يا سلمى إلى تلك المرأة

-أي امرأة؟ !

-تلك التي على يمين الشارع التي ترتدي لباساً أسود

-آه رأيتها من هي؟ !

-إنها زوجة رئيس البلدية، كما أن ابنها سيأتي من كندا عن قريب

-من أين تعرفينهم؟ !

-عندما ذهبت مع خالتي لصنع ثوب لها سمعت الجميع يتحدث عن أنها تحضر نفسها لزفاف ابنها.

ياسمين صديقتي التي لا تستطيع تغيير عاداتها فهي تحب الحديث عن الآخرين أما أنا فلا أحب ذلك أعتقد دائما بأن على كل شخص أن يفكر بحياته، أن يفعل شيء جميل في الحياة لا أن يمضي أوقاته بالحديث عن إنجازات الناس.

شعرت بالاستياء من حديثها اللامتناهي عن الناس فقلت لها غيري حديثك فقالت لي حسناً لماذا سنذهب إلى المخيطة؟ !

-أخبرتك أننا سنساعد أمي في الخياطة

-أوف أكره الخياطة

-تحملي من أجلي

-سأتحمل، لكن أمك عصبية بعض الشيء.

-أعلم ذلك لكنها حنونة تخاف على من كل شيء، تخاف أن يصيبني أي مكروه فهي من اعتنت بي جيداً طيلة هذه السنوات بعد أن تركها والدي ورحل.

-آسفة على كلامي عنها. معها حق

-أجل أعلم أنها على الصواب.

وصلنا المخيطة بعد أحاديث طويلة ولم أنتبه على المارة ولا حتى على الطريق فقد أخذنا الحديث، وجدت أمي تجلس خلف المساكنة وتحتسي فنجان قهوتها تلبس نظارتها الطبية ذات إطار أسود بسبب ضعف بصرها من الخياطة وتضع ربطة رأس على شعرها، كانت ياسمين لا تتوقف عن الضحك فنظرت إليها بتحديق شديد ثم نظرت إلي فعدلت وقوفي وقلت لها

-أمي ستساعدنا ياسمين اليوم، أكملت حياكة القطعة وقالت هنالك العديد من الأقمشة التي علينا إنهاؤها، هززت برأسي وقلت لها حاضر يا أمي مثلما تريدين، ثم قالت ياسمين موجهة الكلام لأمي

-خالتي هل تسمحين لسلمى بأن تأتي معي السبت القادم إلى حفلة صديقتنا نيفين التي تدرس معنا في الكلية، حدقت بي أمي وكأنها تقول لي أنت من طلبتي منها أن تطلب لك الإذن لتذهبي إلى الحفلة، كانت نظرات أمي قاسية وحادة فقلت لها بيدي لا يا أمي لم أطلب منها ولم أعلم إلا للتو بأن هنالك حفلة، نظرتُ بغضب شديد إلى ياسمين وكأنني أريد أن أعاقبها وقلت لها أنت لم تخبريني عن حفلة ن اِحْمَرَّ وجهها خجلا وشعرت بالاستياء من ردة فعلي وقالت لي لم أخبرك لأنك ستمانعين أن أطلب لك الإذن من أمك لكني كنت مصرة على رأيي

فقلت لها ياسمين لا تفعلي هكذا مرة أخرى فقالت حسناً، لن أفعل. أكملت أمي حياكة الثوب ثم نظرت إلي وقالت لن تذهبي إلى أي حفلة ثم أردفت قائلة هنالك العديد من

الأقمشة تحتاج إلى الحياكة، ودون نقاش قلت لها حسناً يا أمي، فهمت.

دخلت الغرفة وأشعلت الضوء فيها وقمت بإيصال الماكينة بالكهرباء وبدأت العمل وبصمت بينما بقيت ياسمين تتحدث مع أمي في الخارج، كنت أستمع إلى صوت ضحكاتهن، لم أستطع الابتسامة، شعرت بأن ملامح وجهي تغيرت بالكامل بعد أن رفضت أمي ذهابي إلى الحفلة، لماذا أمي هكذا كغير الأمهات ولا تشبه أم ياسمين، لا تسمح لي بالذهاب إلى الحفلات ولا القيام بالأنشطة التي أحبها، تُخبرني دائماً بأن العالم فيه الكثير من السيئين، الكثير من الأشخاص الذين يحاولون إيذائنا، أعلم أنك تخافين علي كثيراً وأُقدر حبك لي الذي لا يمكن أن أشك به ولو بالقليل، لكني أريد أن أفعل ما يحلو لي أريد أن أعيش كما أريد، لا أريد أن أقضي عمري بهذه الضوابط انتهينا من خياطة العديد من الأقمشة وعدنا إلى المنزل سيراً على الأقدام كانت الشمس قد بدأت بالرحيل، أوصلنا ياسمين إلى منزلها وقفت عند الباب وسبقتني أمي بخطواتها قلت لياسمين

-أي ساعة الحفلة؟ فقالت لي

-ماذا تقولين؟ وأمك؟ فقلت لها لا عليك سأذهب دون علمها كنت بحاجة أن أُغامر هذه المرة وأن أذهب دون أن أخبرها بذلك.

في ذلك اليوم، يوم السبت تحديداً جهزت نفسي جيداً وارتديت فستاناً أسود وجعلت شعري ينسدل على كتفي، أخبرت أمي بأنني سأذهب عند ياسمين كانت نظراتها إلي نظرات شك لكنني حاولت حينها أن أبدو صادقة فقلت لها إن ياسمين تنزعج كثيراً لأني لا أزورها وهي دائمة تأتي لزيارتي، هزت أمي برأسها تحاول تصديقي لكنها لم تصدق كنت متأكدة من ذلك فعيناها لم يُخطآن يوماً، أخذت منها نقوداً كما وضعت فوقهن ما خبأته من مصروفي الشخصي لأنني سأشتري هدية لنيفين كما أنني لا أريد أن تكون رخيصة الثمن فهي فتاة متعجرفة، لبست حذاءً رياضي ووضعت كندوتي ذات الكعب العالي في الحقيبة لألبسها حين ذهابي إلى الحفلة، خططت لكل شيء كي أذهب، إنها المرة الأولى التي لا أسمع فيها كلام أمي، صدقيني لم يكن الأمر سهلا علي لكنني كنت بحاجة إلى ذلك، دخلت المقهى مع ياسمين كانت ترتدي فستاناً ضِيقًا

يفصل كافة جسدها وترفع شعرها لتبرز طول كتفها وعقدها الفضي الذي يزيدها أنوثة وجمال كانت تسألني كل حين كيف تبدو كانت تعلم أنها بكامل أناقتها، لكنها كانت تحب ذلك مني، أما أنا فقد كنت أرتدي فستاناً ساتر ذو أكمام طويلة وفضفاضة وعند خصره زنار ذهبي، أما جميع من حضرن من الفتيات فيشبهن ياسمين باللباس الضيق والقصير، ذهبت باتجاه ن سلمت عليها وأعطيتها هديتها ثم تركتها مع أصدقاءها تضحك وتكمل حديثها، كانت الحفلة مختلطة لم أتمكن من معرفة الشباب من هم فأنا دائمة الجلوس لوحدي ولم يسبق لي التعرف عليهم، حتى الفتيات فأغلبهن مغتربات قد تكون نيفين تعرفت عليهم أثناء سفرها، لا أعلم إن كانت سعيدة بحياتها أم لا فدائماً تخبرني أمي أن الحياة كلما كانت بسيطة كانت أكثر سعادة، وهنا أطفأو الأنوار فجأة سكت الجميع ركضت ياسمين عند نيفين ليكملوا المفاجأة بقيت عند الطاولة أنظر إليهم من بعيد لكن نيفين قالت لي مشيرة بيدها

-تعالي أنت أيضا أحمر وجهي خجلا ظننت أنها غير مهتمة بي ذهبت ووقفت إلى جانبها لتطفئ الشموع وتقطع الجاتوه

بدأنا نغني لها عيد ميلاد سعيد وفجأة سمعنا صوت أحدهم يعزف على الجيتار، شهقت نيفين فرحا وقالت عاصم؟ نظر الجميع إلى بعضهم البعض من هو عاصم سألت ياسمين ذلك فأخفظت صوتها وقالت

- لا أعلم أطفأو الشموع على صوت الجيتار ثم أناروا المقهى لأرى عاصم لأول مرة ركضت إليه نيفين وهو يضع قدمه اليمنى على الكرسي ويفتح ذراعه الأيسر لها ويقول

-صديقتي الغالية كل عام وأنتِ بخير احتضنها ورفعها عن الأرض أخذ الجميع يصفق لهم ويقولوا يا له من حب، كانت تلمس ذقنه المهمل وشعره الأسود الكثيف وتقبل خداه، كم كانت تبدو طفلة بين ذراعيه، تأملت كثيرا حبها له وحبه لها كانت بريق عيناهما حكاية لا تُحكى، أمسكت نيفين بيدي وقالت لي

-هذا عاصم حبيبي ثم قالت له هذه سلمى التي أخبرتك عنها إنها صديقتي من أيام الدراسة تبادلنا الابتسامات لبعضنا البعض ثم أمسكت نيفين قطعة شوكولاة لتعطيني

إياها فقلت لها لا أعاني من حساسية الشوكولاتة تفاجأت وقالت لي وهي تنظر إلى عاصم إنكِ تشبهينه إنه يعاني من حساسية الشوكولاتة، شيء ما تبعثر في داخلي لا أعلم ما هو عيونه العسلية الواسعة التي كلما نظر إلي تبعثرت بالكامل، جلست على الطاولة وابتعدت عنهم لا أعلم ما هو هذا الشعور لكنني أعلم أنه يتوجب على ألا أشعر بشيء ناديت ياسمين وقلت لها لنذهب كنت بحاجة إلى أن أغادر أن لا أبقى، على الرغم من اهتمام نيفين بي لكني حقاً كنت أشعر باختلافي عنهم أشعر بأنني أقل ثقة منهم كما شعرت بالخوف تجاه أمي إذا عرفت بالأمر فماذا سيحدث؟ أصرت ياسمين أن تبقى لكنني لم أستطع البقاء تركتها تكمل احتفالها وخرجت من المقهى مسرعة دون أن أودع أحد، فالغياب يجب أن يكون بلا وداع، سرت بالشوارع المعتمة بحثاً عن سيارة أجرة لأذهب إلى حي الزهور، لكنني وجدت عند زاوية محلٍ مغلق لبيع الألبسة رجلان يمثلان بدأ أحدهما يغازلني بصوت مرتفع، أزدت رعباً وبدأت دقات قلبي تخفق وبسرعة شعرت بأن قدماي أصبحا أكثر ثِقلاً في السير من شدة الخوف، سرت على الجانب الأيسر مبتعدة

عنهم لكنهم لم يتوقفا عن مضايقتي وفجأة ركض أحدهم نحوي فركضت مسرعة فشد يدي قلت له اتركني أرجوك اتركني لكنه لم يتركني، قال لي:

- كيف سأتركك وبهذا الجمال، ضربته على وجهه فشدني أكثر إليه، لم أعرف ماذا أفعل صرخت كثير لكن الشارع معتم ولا أحد ليساعدني حتى جاء رجل طويل القامة عريض ذو بشرة سوداء أمسك بيدي وأفلتني منهم وبدأ بضربهم، ضربهم بقوة حتى لا يؤذوني، ثم هربا بعيدا جلست على الرصيف أبكي من شدة الخوف أقدامي يرتجفان ، تشهق أنفاسي، ماذا كنت سأفعل لولا هذا الرجل، احتضنته وكأنه ملجأ آمن لي تبعثرت مشاعري بالكامل كنت أرجف كثيرا لكنه ضمني وقال لي: - لا تخافي يا عزيزتي. . . اهدئي لن يؤذيكي أحد كنت أبكي بحرقة بين ذراعيه وكان يحميني من حزني، شعرت بأمان لم أشعر به من قبل قال لي هل تشعرين بالبرد؟

فقلت له: لا، فقط بالخوف فقال لي لا تخافي أنا هنا معك، ابتسمت له وتشكراه ثم سألته ما اسمك؟ فقال لي: لا يهم من أكون فقلت له كيف لا أهتم بمن تكون صاح قليلا ثم قال

اسمي هو علي ثم قلت له: ألا تريد معرفة من أكون؟ !
ففاجئني وهو ينظر إلي بعيونه البنية الجميلة وبحركة حاجباه البريئتان لا يا عزيزتي لا يهمني معرفة من تكونين فقلت له مثلما تريد ثم مضيت في طريقي أحمل ملامحه في داخلي وأشعر بارتجاف أقدامي من هؤلاء الأوغاد، وصلت المنزل فقمت بخلع الكعب العالي وسرت على أطراف أصابعي أنظر يمنة ويسرة أحاول سماع صوت أمي، تخطيت الممر ووصلت الصالون كانت أمي تغفو على الأريكة ذهبت إليها وقبلت يداها حتى استيقظت عدلت جلستها فقلت لها أكملي نومك لقد أتيت، مسحت وجهها وقالت لي: كيف هي حال ياسمين صحت قليلا وقلت لها ياسمين بخير ثم قالت لي: انتظرتك كثيراً على العشاء ولم تأتي ما زال الأكل ساخناً تستطيعين الأكل قبلتُ يداها وقلت وأنا أهز برأسي لا أريد أن آكل شيء أريد أن أنام فقط، ثم تركتها ودخلت غرفتي انهمرت بالبكاء الشديد فمنظرها عندما رأتني يدل على أنها كانت قلقة طوال الوقت، ليتني لم أذهب إلى تلك الحفلة، لم أستفد شيئا سوى أنني كذبت عليكِ يا أمي، انتظرت انتهاء الليل بفارغ الصبر كي أكون

بوضع أحسن، فما زال الموقف يسيطر على، كما أنني لن أنسى ذلك الرجل الذي حماني منهم.

استيقظت في الصباح على رائحة القهوة وهي تملأ المنزل وصوت السيدة فيروز يضفي جمالاً لا يستطيع أحد ألا يشعر به، جلست على الطاولة أتناوب بينما كانت أمي بكامل حيويتها تحضر طعام الفطور بسرعة كي تذهب إلى المخيطة، قلت لها

-أمي لن آتي إلى المخيطة اليوم لأني سأعمل ساعة إضافية في المطعم، كانت أمي تسمع لكلامي ثم قالت لي انتبهي على نفسك لا تذهبي إلى أي مكانٍ آخر، ثم أردفت قائلة: لقد أوصيت أبو طارق عليكِ انتبهي جيداً فهو يخبرني كل شيء عنكِ، هززت برأسي وقلت: أجل أعرف ذلك فهو دائماً يهتم بي أكثر من الجميع ثم قلت لها: لا تخافي لن أذهب لأي مكان ثم تركت الطاولة ودخلت إلى غرفتي، يزعجني كثيراً تكرار كلماتها كما يزعجني خوفها الزائد على، أريد التعرف على والدي، على عائلتي، على جدتي أريد معرفتهم لماذا تخاف أن أعرفهم ولماذا تخاف علي لهذا الحد، أمسكت الحقيبة ورميتها على المرآة

وكأنني أريد تحطيم صورتي فأنا لا أريد أن أكون كما أنا، وبعد دقائق جاءت أمي تطرق الباب فقلت لها: بغضب تفضلي نظرت إلي منزعجة من أسلوبي في الحديث ثم انحنت على الأرض لالتقاط ما وقع عن التسريحة من عطور وكريمات ثم التفت لي وأنا أشبك يداي بعضهما البعض وقالت: هذا تصرف غير لائق ثم عاودت كلمتها مرة أخرى هذا تصرف غير لائق شعرت بالخوف من تحديقها بي فغضب عيناها لا يُحتمل ولا أطيقه لكنتي هذه المرة لن أسكت فهي عليها أن تتركني ألا تجعلني بهذه القيود التي لا داعي لها، جلست بجانبي على السرير وقالت لي: أنتِ أغلى ما أملك في هذه الحياة، كنتِ أجمل هدية لي وقد كرست حياتي لأجلك فقد قررت قبل عشرون عاماً أن أعيش لأجلك، فقد كنتِ أملاً لي في الحياة أحملك بين أحشائي وأستعد للقائك كل يوم، لقد قررتُ أن أنسى أمل رجوع والدك وأن أعمل بِجد لحياة كريمة من أجلك، رغرغت عيناه عندما ذكرت اسم والدي، ثم أمسكت بيدي وتثبت بها بقوة ونظرت إلي وقالت: افهميني، فقط افهميني، شعرتُ بالحزن من داخلي وبأن شيئاً قد تقطع في داخلي، فأنا قد

جعلتها تتذكر الماضي الذي لا أعرفه لكنه حزين جعل عيناها ترغرغ من الدموع، فقلت لها: أمي أنا أفعل ما تريدينه مني صدقيني لن أُخالف كلامك مهما حدث ثم خرجت من الغرفة وبقيت جالسة على السرير أفكر بالسبب الذي جعل والدي يتركنا ولماذا لا تخبرني أمي عنه، ولماذا انتهت علاقتهما، بقيت هذه الأسئلة تدور في مخيلتي، حملت حقيبتي وخرجت مسرعة إلى المطعم فقد تأخرت.

الجو حار اليوم، أشعة الشمس تكاد أن تحرقني، أكره أزمة السير خصوصاً في هذه الأجواء، وصلت المطعم متأخرة سألت ياسمين هل سأل عني أبو طارق فقالت لي لا لم يسأل لكنه انتبه لعدم وجودك.

ماذا حصل معك؟ ِ

لم يحصل شيء سأخبرك لاحقاً، أين للمريول الآن

أخذته منها ولبسته ثم قالت لي ارفعي شعرك المنسدل فقلت لها حسناً سأرفعه، رفعته وذهبت لآخذ طلبات الزبائن كان المطعم مليء بهم وصلت عند الطاولة رقم عند الزاوية اليمنى للمطعم، أخذت طلباتهم ثم أدرت ظهري للرجوع إلى

المطبخ لا أعلم كيف وقعت مني ربطة شعري فانسدل على ظهري انحنيت لالتقاطها وما إن رفعت رأسي حتى قابلتني عيون رجل يجلس على الكرسي الأمامي للطاولة رقم سبعة كانت عيناه ذات بريق لامع وهو ينظر إلي أعدت رفع شعري ثم مشيت بخطوات تجاهه وعندما وصلت طاولته سألتهم ما هي طلباتكم، نظر إلي الرجل وقال لي: هل أنتِ بخير اليوم، عندما سمعت صوته تبعثر كل ما في داخلي ازدادت خفقات قلبي وقلت له: أنت فهز برأسه وقال: أجل أنا

-لا أعرف ماذا أقول فأنا مدينة لك يا سيدي، حقا أشكرك من أعماق قلبي نظر إلي وقال لي: عزيزتي لا تقولي ذلك سأكون بجانبك إن احتجتني يوماً ما.

لا أعرف كيف أوصفه فهو رجل في الخمسين من عمره لكنه جميل ذو عينان بنيتان وشعر كثيف ذو مبسم ضاحك وحاجبان ثمينان، يلبس لباساً رسمياً ويرتدي ساعة بيده اليمنى ذو مبسم ضاحك، تشكراه كثيراً ولم أتوقف عن ذلك لأنني لولاه لحصل لي مكروه في تلك الليلة، ثم عدت إلى المطبخ قابلتني ياسمين بأسئلتها اللامتناهية من هو هذا

الرجل وعن ماذا تكلمتِ معه، تأفأفت من أسلوبها وكأنني في تحقيق ثم بدأتُ تحضير الطلبات للزبائن فوقفت إلى جانبي تقول لي: لن تهربي هذه المرة أخبريني من هو نظرتُ إليها وقلت لها: لا أعرفه ثم رفعت صوتي لأنها تزعجني بتكرار أسئلتها وقلت: لا أعرفه، كم هي لا تفهمني وكأنها تظن بأنني سأحب رجل بعمر الخمسين.

الفصل الثالث (علي)

-ادفع الحساب, أنا سأذهب.

-حاضر سيدي, لكن إلى أين؟ هل تريد مني أن أوصلك إلى أي مكان؟

-لا, لا سأذهب بنفسي.

خرجت من المطعم قبل أن أرى الفتاة مرة أخرى, لا أعلم بمن تذكرني؟ ولا أعلم لماذا أملك مشاعر تجاهها, إنها فتاة جميلة لكنني لست معجب بجمالها, لا أعلم ابتسامتها وطريقة رفعها لشعرها المنسدل التي تجعله يتطاير قليلا ثم

تلملمه بيدها وهي تنظر إلى السماء وكأنها حمامة بيضاء تحاول أن تطير, لا آت تبقى على الأرض, لذلك تذكرني بتلك المرأة التي أحببتها ولم أحب بعدها.

بقيت عالقة صورتها في داخلي وكأنني أعرفها منذ زمن, في تلك الليلة كنت وكأنني أريد احتضانها أريد أن أمسح دموعها أن أبقى إلى جانبها, فقد كانت ترتجف من الخوف وتنظر إلي وكأنني أمانها الوحيد في هذا العالم, طفلة لا تعلم عن العالم أي شيء, تركتها وركبت السيارة وسرت بالشوارع بعتمة الليالي شعرت بانطفاء في داخلي وقفت عند شجرة على الطريق ونزلت من السيارة أردت تكسير كل شيء ضربت بقوة على زجاج السيارة وقلت بصوت عالي كيف تركتها؟ ! ومن أجل ماذا فعلت بها ذلك؟ ! , عيون الفتاة تشبهها, بكاؤها كم يشبهها؟ ما هو حالها وماذا تفعل؟ قد تكون قد تزوجت وعندها أولاد وقد لا تكون هنا, لا أعلم كيف سأبحث عنها لا أعلم كيف فرطت بها, اليوم وفي هذه الليلة ذكرتني فتاة عشرينية بها وكأنها فتحت لي جروح بقلبي تنزف منذ سنوات بعيدة جرح كنت سببه ولا أستطيع أن أسامح نفسي عليه, أحيانا أكره كوني

رجلا وقد تصرفت مع المرأة التي أحببتها ما لا يليق برجولتي لقد سمعت صوت بكاؤها وصرخات روحها وهي تمسك بيدي وتتسولني ألا أرحل لكنني رحلت لم أشك يوما بحبها لي ولم أشك بها لكنني كنت خائفا على نفسي منها كنت أخاف كوني اسمع لها كوني لا أفعل شيئا إلا وقد أفكر بها, كنت أخاف أنني لن أستطيع تحقيق أي نجاح وهي تمدني بحبها القاتل لي لقد كنت جبان نحوها أحاول أن أغضب أحاول أن أكون كبقية الرجال أن أقسو عليها لكن عيناها تستدرجني لأنحني لها لأكون مسخرا لها فأعود إليها كالطفل الذي لا يرتاح إلا في حضن والدته.

الفصل الرابع (سمراء)

آه كم أصبحت أنسى مكان الأشياء, لقد وضعت الخيوط هنا في هذه العلبة الموجودة على الرف, لكنني لا أعلم أين هي الآن, قد تكون سلمى وضعتها في داخل الغرفة عندما استخدمت الماكينة الأسبوع الماضي, دخلت الغرفة وجلست على الكرسي أفكر بسلمى وبتصرفاتها غير اللائقة, لا أعلم كيف سأتصرف معها تريد اكتشاف الحياة لكنني أخاف

عليها أخاف أن يحدث لها كما حدث معي, كم حاولت طيلة هذه السنوات أن لا أخبرها أبدا عنك يا علي لكنني كلما تذكرت وكأن جرح بداخلي ينزف ومن جديد, حاولت طيلة السنوات أن أكون لها أما وأبا, لقد تغيرت كثيرا بفعل السنين, أصبحت لا أعتمد إلا على نفسي, وأريدها أن تعتمد على نفسها أن تجتهد بدراستها وأن تعمل بجد من أجل مستقبلها, فأنا مازلت أخاف عليها وأخاف أن تصبح مثلي أن تفقد ثقتها حتى بأقرب الناس إليها, أن تصبح وحيدة في هذا العالم.

قبل عشرون عاما كنت كل يوم أريد التخلص من ذلك الطفل الذي ينمو بداخلي ولم أكن أعلم أنها ستكون فتاة, كنت دائما أشعر بأنني لن أتجاوز أي شيء, فقد كان كل شيء يؤلمني, كنت أحملك في بطانير وأخاف أن تشبهي ذلك الرجل أخاف أن يكون ذكرا يكبر ثم تتحول ملامحه شبه والده لكني شعرت بالأمان عندما عرفت أنك فتاة, كنت كل يوم احمل غصة في قلبي كيف سأعتني بك ولوحدي دون وجود والدك, لكنني تعلمت أن أقف على أقدامي لكي لا نحتاج احد. تناولت الخيوط وخرجت من الغرفة آه سلمى آه

تريدينني أن أخبرك عن الماضي الذي لم يعد يهمني بشيء لكنه صقل شخصيتي وجعلني أقوى لا انكسر أبدا, نعم فان قوية استطعت التجاوز وكل شيء كان مهم أصبح مجرد ذكرى, بدأت تفصيل وخياطة الملابس التي علي تسليمها بعد أسبوع, أشعلت أغنية فيروز كسفك أنت وبدأت الغناء معها استوقفتني كلماتها وحركت في داخلي مشاعر غريبة كسفك أنت لكنها ليست مشاعر حب أنما خوف وقلق فقد سمعت من صديقتي نيرمين أن كل شيء يعود إلينا, يعود ليعتذر عن أخطاؤه لكنه سيعود عندما نكون قد نضجنا بما يكفي, نضجنا لدرجة أن وجودهم بحياتنا أصبح بلا فائدة وبلا معنى, استعذت من الشيطان وأغلقت الراديو وقلت لنفسي إنها مجرد أوهام ليس على تصديق كلام نيرمين قارئة الفنجان فهي كل يوم تخبرنا بشيء مختلف وليس على تصديقها, أفكار كثيرة تدور في داخلي هذه الفترة وكأن شيئا ما سيحدث.

الفصل الخامس (سلمى)

أوصلت الطلبية إلى الطاولات نظرة يمنة على طاولة السيد علي ولم أجده كان قد خرج من المطعم دون أن يأكل شيء لربما طرأ عليه شيء هام, عدت إلى المطبخ وقد شعرت بالحزن لأنه رحل قبل أن أودعه, م هو شخص رائع وطيب وكم أصبحت أشعر بالأمان عندما أجده, جلست على الكرسي بينما كانت ياسمين تحدق بي بين الحين والآخر تريد مني أن أتحدث لكنني لا أستطيع أن أبوح بكلمة واحدة, أنهيت جميع الطلبيات وأنجزت عملي بسرعة كبيرة كي أغادر قلت لياسمين وهي تقف بجانبي سأطلب منك شيء أرجوك لا تخذليني, توسعت بؤبؤه عيناها وقالت لي ماذا تريدين لن أخذلك, نظرت إليها بعيناي وامسكت بيدها وقلت لها اشعر بالتعب اقسم لك ذلك انني مرهقة اريد ان اغادر لكن. . . ثم سكت قالت لي أكملي لكن ماذا؟ فقلت لها لا أريد أن تعلم أمي فقط ساعتين وسأعود أدارت ظهرها لي ووقفت عند المجلي ولم ترد علي اقتربت منها وقلت لها أرجوك ساعتين فقط نظرت إلى بغضب وقالت لي ساعتين وسأحسب لك إن لم تعودي سأخبر أمك بذلك قبلت رأسها وقلت لها أشكرك أنت صديقتي العزيزة فقالت لي لا لست

صديقتك سألتك من يكون ذاك الرجل وأنت تهربين عن الإجابة نظرت إليها وقلت لها سأخبرك لكن في الوقت المناسب, ثم ذهبت, لا شيء معين يخطر في بالي, المقاهي ممتلئة بالناس كما أن الملابس الصيفية ذات حضور لافت بألوانها الزاهية رغم أن درجة الحرارة بدات بالانخفاض تدريجيا, اشتريت الكعك المحشو بالتمر وذهبت اسير في الشوارع واتامل المحالّ والعروض والتنزيلات دخلت محل لبيع المجوهرات فقد خطر على بالي شراء عقد باسم امي فقد اردت الشهر الماضي شراؤه لها ولم اتمكن من ذلك, نظرت الى المجوهرات كافة, جميعها ذات بريق لامع سالني صاحب المحل ماذا اريد بتالضبط.؟ فأخبرته أنني أريد عقد جميل لألكن ذو سعر مناسب فاقترح لي عقد بالاسم الذي أريده, اخترت من السلاسل ارفعه وطلبت منه تجهيز اسم سمراء واتفقت معه على السعر وأخبرني بأنني أستطيع أخذه الأسبوع القادم فسيكون جاهزا, ثم خرجت من المحل, ما زال معي وقت لأفعل ما أريد, ركبت سيارة أجرة وذهبت إلى الشاطئ, الجو بارد ليس دافئ كما توقعت, نظرت إلى طفلة تمسك بيد والديها وتصر على أن

يشتروا لها البالونات من بائع عجوز, صورة تجسد أسرة متكاملة أنها الأم والأب, لم تأتي أمي الى هذا الشاطئ ابدا ولم ترغب في المجئ هنا ابدا تقول لي دائما اذهبي لوحدك, سرت باتجاه الصياد الذي اعتدت على اكل السمك من عنده انه رجل طيب بعمر الخمسين ذو شعر مموج بين الابيض والاسود, فقد بدا الشيب يكسوه, وعيناه سوداء واسعة وبشرته سمراء يرتدي دائما لباس طويل مفتوح من الامام يشبه المعطف الى حد كبير, جلست على الكرسي واخذت انظر اليه الى حين انهى تحضير وجبة السمك لعائلة تجلس مقابلي ثم جاء نحوي قال لي –مرحبا فنظرت اليه وقلت – اهلا بك احضر كرسيه وجلس بجواري بدا يسالني عن حالي وكيف امضي ايامي لقد كنت اختصر الكلام بالحمد والشكر لكنه كان يشعر باني لست سعيدة كعادتي ولا اضحك كالسابق فقام عن كرسيه ليحضر لي وجبة السمك ويعود, التفت الى خلفي فوجدت الصياد يسلم على رجل ويعانقه كان علي اقتربا مني فقمت بسرعة وسلمت عليه تفاجا الصياد وقال اتعرفان بعضكما؟ قهز علي راسه وقال اجل نعرف بعضنا فقلت له اجلس معي من فضلك؟ فوافق على

ذلك عيناه البنيتان مليئتان بالحب, جلس مقابلي فشعرت بالتوتر والخجل لا اعلم لماذا تزداد نبضات قلبي دقا عندما اراه, , لم نتحدث بكلمة واحدة فقد كان منهمكا بضبط عقارب ساعته رفع راسه لتقابل عيونه عيناي ثم ابتسم وقال لقد انهيت ضبطها ابتسمت له ثم سكتت اخذت انظر الى المكان وقلت المكان جميل هنا هل تأتي اليه دائما؟ اطلق نظره الى البحر وقال اجل آتي كثيرا منذ زمن قديم, بدانا الحديث معا وشعرت بالارتياح تجاهه سألته هل أنت متزوج؟ فقال أجل, لا ضحكت وقلت له كيف ذلك؟ احتار قليلا وقال أجل متزوج لكنني أعيش وحدي منذ زمن طويل, اعتذرت له وقلت آسفة لكنني كنت أشعر بالفضول لمعرفته أكثر, جاء الصياد بوجبة السمك وجلس معنا ضرب بكفه على كتف السيد علي وسأله ماذا حصل معك؟ نظر إليه باسف وقال له لا شيء, لم يحدث أي شيء جديد فقال له الصياد تناول وجبتك الآن وستجدها لا تحزن, قلت لسيد علي سأترككم لتتحدثا معا لكنه أشار بيده لأجلس وقال لي لا ترحلي, شعرت بالخجل فان أريدهم أن يأخذوا راحتهم بالحديث مع بعضهم البعض, لكن الصياد تركنا ليكمل

عمله, بدأنا الاكل وقلت له السمك طيب هنا فقال وهو ياكل بشراهة اجل لذيد تناوليه بشراهة لتتذوقي طعمه, ما اجمل ابتسامته وهو يتحدث معي تبرز الخطوط حول عينيه كم انا سعيدة لسعادته, لا اعلم لماذا اشعر تجاهه بالحب وكانه وطن لجات اليه, انتهينا الاكل وقلت له لنسير على الشاطئ, سرنا جنبا الى جنب ةنحن نتحدث سالني عن دراستي فقلت له انني ادرس في كليه الفنون لكنني في العطلة اعمل في المطعم, فسالني وهو محرج من ذلك؟ هل انتم بحاجة الى المال؟ ابتسمت له وقلت لا يا سيدي لسنا بحاجة الى المال لكن امي تريد مني ان اكون فتاة تعتمد على نفسها؟ سكت قليلا وقال امك امراة واعية وتفكيرها رائع انت محظوظة بها, لم اتكلم بكلمة اخذت نفسا عميقا وقلت بعدها اجل, معك حق نظر الي وقال اخبريني عن الحقيقة هل انت مستاءة من ذلك؟ ارتحت له كثيرا ولم اعرف كيف كانت الكلمات تخرج مني وكانني كنت بحاجة لاحد يشبهه ليفهمني او ليستمع لي, فقلت له اجل مستاءة أتظن ان الطير الذي يعيش في القفص سعيدا؟ قال لي ان كان مع من يحب اجل سيكون سعيدا فاجأني رده لكنني لم

اقصد ذلك نظر الي بدهاء وقال لي انت ذكية بكلامك وحذرة هذا ما علمتك اياه امك ثم ضحك شعرت بالاهانة من ذلك فانا فتاة لديها رايها وشخصيتها ولا اسمح لاحد ان يسخر مني نظرت اليه بغضب وقلت له سأرحل عن اذنك لا أريد أن أتحدث معك, لم يبدي ردة فعل لأي شئ رفع حاجباه ثم اخفظهما وقال مثلما تريدين, ثم تركته ورحلت كنت اريد ان اخبره عما يزعجني لكنه اصر على ان لا يفهمني, الرحيا افضل بكثير من البقاء معه, عدت عبر الطريق نفسه لم يتغير شئ سوى الاشخاص الذين صادفتهم بالصباح, وصلت المطعم وكانت ياسمين تثور غضبا لتاخري تتزاحم في عملها لتغطي مكاني, قضمت شفاهي من الخجل ليتني لم اتركها لوحدها وارتديت مريول العمل ووقفت الى جانبها وهي تتأفف من العمل امسك الصحون عنها وقلت لها ساعمل عنك, نظرت الى الساعة وقالت لي اتعلمين كم الساعة الان بقي نصف ساعة وسنغادر طلبت مني ساعتين لكنك غبت يوما كاملا قلت لها بخجل اسفة لم اعرف كيف كان الوقت يمر, حقا انا اسفة تابعت العمل دون ان نتكلم مع بعضنا البعض, انه من حقها ان تنزعج فقد تعبت كثيرا

اليوم بسببي, عينا السيد علي لم يفارقاني على الرغم من أنني أتظاهر بالغضب لكن هنالك شيء جميل يدق قلبي, كم كنت سعيدة بمعرفتي له حتى وإن غادرت المكان بسبب رأيه, لقد كان على أن أبدو أكثر اتزانا لكنني لا أحب أن أشعر بأنني لا امتلك رأيا, هل سيأتي مرة أخرى أم لا؟

علي:

-هل السمك طيب يا قبطان علي؟

-أجل, كثيرا

-أين ذهبت سلمى؟

- لا أعلم لم تتحمل كلامي ورحلت رغم أنني لم أقل لها شيئا مزعجا للغاية.

- لا عليك, سأقدم السمك لهؤلاء وأعود لنتحدث معا

قلت له اذهب إذن, لم أكن أريد أن اسمع لسلمى أي هم أو شكوى, لأنني لا ارغب أن أكون وطنا لأي أحد فمن يثرثر لك همومه ستكون عالمه بعدها وأنا لا أصلح لذلك, فشلت كثيرا منذ زمن بعيد أن أكون عالما لفتاة أحببتها من كل قلبي وما زلت أحبها لا أعلم لماذا شعرت بالخوف تجاه أن

أكمل معها كم كنت اتصرف وكانني مراهق ولم استطع المحافظة عليها, لقد مر وقت طويل وانا متشرد في هذا العالم لا ملجا لي لم يعد شئ يخفف عني ألمي سوى سجائري التي رافقتني طريقا طويلا لم ينتهي بعد, لقد كان حبها يسجنني يجعلني شخصا اخر, رجلا تنهار رجولته امام عيناها, تخليت عن اهلي وذهبت اليها, كان حبها سجنا لي هكذا كنت اظن وهكذا شعرت بالنهاية, اتذكر عندما عدت من المكتب الذي كنت اعمل به لدى الوزارة, اشتريت لها باقة من الورد وطرقت الباب لتفتح لي لكنها لم تفتح, دخلت المنزل ولم اجدها ناديت كثيرا ولم تسمع جلست على الاريكة وقدماي يرتجفان من الخوف عليها وما مرت الا دقائق وقد اتت تنظر الي بعيناها الواسعتين المليئتين بالحب وتبتسم ثم اقتربت اكثر مني وتسالني ماذا بك يا عزيزي؟ تقولها ببرودة وكانها لا تشعر بالنار التي تجتاحني والدقائق التي احرقتني عندما لم اجدها, وقفت بغضب وسالتها اين كنت؟ نظرت الي وقالت لماذا تتحدث مهي بهذه الطريقة؟ ادرت ظهري لاتلاشى عيونها, لكنها شدت قميصي وقالت انظر الي انظر لماذا تتحدث معي هكذا؟

اجبني, لم تكن تشعر بحرقة قلبي سكت ثم قلت لها بغضب لقد جننت عندما لم اجدك؟ افهميني, جلست على الاريكة تبكي وتذرف عيونها الدموع ولم استطع وقتها ان المم دموعها, جنوني وحبي لها يجعلان مني رجلا سئ عندما تبتعد, يجعلان مني شخصا اخر ليس ذلك الحنون الذي تحبه, عدت الى عملي ولم اتحدث معها ولم اسمح لها ان تؤثر علي, اردت ان لا تكون مع أي احد من العالم, اخاف على طيبتها اخاف ان يلاحظ احد جمالها, اخاف من ذلك كثيرا وافضل ان تكون حزينة على ان تتعامل مع احد غيري, اعلم انها طيبة وستعود الي كي اسامحها على خطا لم ترتكبه, كم هي جميلة عندما تعانقني لاصاللحها وكم انني رجل صعب لكنني احبها ومع هذا الوقت ما زلت احبها.

تركت الحساب على الطاولة وتشكلت الصياد على السمك الطيب الذي اعتدت على أكله منذ سنوات, ثم وقفت عند الشاطئ أتابع أمواج البحر التي منذ عشرون عاما أخذتني إلى غربة ما تزال إلى هذا اليوم, تذكرني بفصل الخريف الذي أسقط مني سعادتي كما تتساقط الأوراق من الشجر.

الفصل السادس (سلمى)

عدت إلى المخيطة لأطمئن على أمي سألتني –أين ياسمين؟ سكت قليلا وقلت لها عادت إلى المنزل مسرعة ربما لديها شيء هام, كذبت على أمي ولم أخبرها بان ياسمين منزعجة مني بسبب غيابي عن العمل ثم غيرت الموضوع بسرعة وسألتها عن الفساتين التي تريد إرسالها إلى فيلا السيد أشرف مسؤول سابق للمنطقة فأجابتني أنها جاهزة وسترسلها غدا, فقلت لها هذا جيد سأنظر إليهن قليلا, ألوان الفساتين زاهية وذات بريق لامع أظن بان تكلفاتهن ستكون عالية, أطفأت ضوء الغرفة وبدأت ترتيب المكان مع أمي لنذهب إلى المنزل, وفي الطريق أمسكت امي بيدي لتخبرني باني افضل ابنة في هذا العالم حدقت بها وبابتسامة عريضة ملئت وجهي قلت لها وانتي افضل ام في هذا العالم, ثم سالتها –هل هنالك اشخاص يساعدوننا دون مقابل؟ فقالت-اجل الطيبون, كنت اريد ان اخبرها عن السيد علي لكنني لم استطع فهي لا تحب هذا الاسم تظن بان اللذين اسمهم علي يمتلكون نفس الشخصية فوالدي اسمه

علي وهي تكرهه كثيرا, عم الصمت طريقنا الى ان وصلنا المنزل لنحضر بعدها الطعام ونحتسيه معا ثم نجلس جنبا الى جنب لنتحدث عن يومنا, احضرت صندوق صور قديمة وبدات بمشاهدتها واسال امي من يكونون لقد كانت صور والدي ممزقة فقد انتزعتها امي جميعها كي لا تراه مرة اخرى, وجدت قلادة عليها اسمها لكنها مقطعة, لم اسالها من من؟ لانني اعرف انها من والدي, تذكرت بان الاسبوع القادم ستكون قلادتها جاهزة, ستفرح كثيرا بها.

الفصل السابع (سمراء)

أصبحت كثيرا ما أشك بنوايا الآخرين وفي صدق محبتهم, ولا أعلم إن كان هنالك شخص يحبني لكوني أنا ولشخصيتي أم لا, أصبحت ألاحظ وجودهم المزيف وهذا لا مر يرهقني ويشعرني دائما بان علي الابتعاد علي ترك كل شيء والرحيل وان كنت أحمل لهم في قلبي الحب, أكره دائما خلق الأعذار للبقاء لكن حتى هذه الأعذار بدأت تتذمر مني, وتخبرني بان على أن أعطى موقفا, أن يكون لدي قرار بإنهاء أي علاقة مزيفة ستخنقني ذات يوم ان بقيت في

دائرة حياتي, في وقتنا هذا اصبح كل شئ مختلف حتى التواصل لم يعد وجها لوجه بل عن طريق مواقع التواصل التي تقترح عليك حتى مشاعرك وتسالك بين الحين والاخر بماذا تشعر وبماذا تفكر وانت ما عليك الا ان تبدع في كتابة شعور يليق بمكانتك امام اصدقائك وتصر دائما ان تكتم مشاعرك الحقيقية خشية ان يراتك احدهم مهزوما, تسير بخطوات هادفة نحو نحو طريقك وتجد بانك في النهاية تقاتل لوحدك دون احد, لانك قد تظن بان الجميع اقل من احلامك وان احلامك لا مجال لها للمناقشة تحسم دائما ان تكون الافضل لكنك تنسى ان تعيش مع اشخاص لربما انهم لم يكونوا مثلما تريد لكنهم كانوا جزء من حياتك, لا تستطيع ان تنكر حاجتك اليهم, للبوح لاحدهم او لطلب مساعدة ما او حتى البكاء على كتف احدهم, اعلم جيدا بان عالمنا يحتاج منا الكثير من الانجازات لاثبات انفسنا لكن لننظر الى الاخرين وكانهم جزء من نجاحنا وكانهم جزء من حياتنا , لنكون صادقين مع أنفسنا وغيرنا لنكتب عن أحزاننا ولنبوح بما يؤلمنا, علينا أن ننكسر قليلا لنشعر بقيمة من حولنا لنعرف من يحبنا بصدق ومن يريد منا أن

نكون بخير لأجله, أنا لا أعني أن تترك حلمك أو أن تشعر بالذل لأحد لكن عليك ألا تقول أنا بخير دائما لتكون بخير, حاول أن تخبر أحدهم عن حاجاتك ألا تقاتل لوحدك فالحياة لا تقتصر عليك هنالك الملايين من يقاتلون من أجل أحلامهم وتذكر أن تكون قويا وأن تستمر لا أن تتخلى وتترك الامور وترحل, فالمزيد من النجاح يعني انكسارات اكثر تعني اننا سنكافح وسنقاتل اكثر فاكثر لربما سنصبح اكثر صلابة وقوة في التخلي عمن يسيئون لنا, لنجد انفسنا مختلفين عما كنا في السابق, لقد شعرت بالضعف عندما وجدت نفسي وحيدة في هذا العالم كنت احمل طفلتي في بطني, تائهة حائرة وخائفة اسير في شوارع مضيئة لكنها كانت عتمتي لا اعلم اين ساذهب وكيف ساعيش, احتجت اشخاص لكنني لم اعرف سوى نيرمين جارتي في الحي الذي سكنته انا وزوجي علي, كنت في العشرين من عمري جسم نحيل وشعر طويل بني وعيوني خضراء واسعة وكانني فريسة لكل رجل ينظرون الي نظرات مستفزة ومخيفة تجعلني اسرع في خطواتي لالوذ بالفرار منهم ومن نظراتهم, عالم مخيف بالنسبة لفتاة مثلي جميلة وتسير

لوحدها لا تعلم أي الطرق تسلك. لكن الجميل بان الآخرون لايرون إلا

مظهرك الخارجي وأنت بكل ما فيك ستسعى لتكون قويا في نظرهم على الرغم من الخوف الذي يسيطر عليك ستحاول أن تكون قويا حتى لا يستضعفك أحد وحتى لا تكون فريسة على مائدة أحدهم, كما أن تأثير الآخرين علينا يجعلنا أشخاص ذو وجوه متعددة لنكون مرنين في التعامل مع الفئات بأكملها, لكن الأخلاق في النهاية تكون كسيف حاسم تعلن النهاية في كل موقف, أجبرتني الحياة أن أكون امرأة صعبة تعرف ماذا عليها أن تفعل بكل دقة وحذر, انظر دائما إلى الأقمشة والمخيطة وإلى صورتي في المرأة وافتخر في كوني أستطيع التلاعب في الخيوط لانسج اجمل الملابس التي ترتديها النساء في حفلاتهن ليبدون اكثر جمالا وجاذبية, بعضهم تأتي وتجلس مقابلي على الكرسي وتضع رجلا فوق الاخرى تحرك قبعتها وتنفث سجائرها وتطلب مني فستانا لا مثيل له لترتديه في حفلة مليئة بالوجوه لتبدو اكثر اناقة بين الاخريات بينما اقدامها يرتجفان لكونها لا تحب ان ترتدي وجهال لا يليق بها,

تملاؤ حياتها المشاكل لكنها تنفث سجائرها لتشعر بانها قوية, لتخرج كل ما فيها من غضب على هيئة دخان, أريد أن أضع لافتة واكتب عليها يمنع التدخين لكنني أعود وأقول ساترك الحرية للزبائن, لقد سرت كثيرا وتعثرت كثيرا ثم استجمعت قواي وان أسير بالشكل الصحيح لا أن اترك نفسي ليقتلها الدخان أو أن اؤدي بها إلى الموت, لأنه لن يحبك أحد ما دمت ترى نفسك في عيناه صغيرا لن تكون قويا إن لم ترى نفسك قويا, ولن يهتم أحد لمشاعرك إن لم تهتم أنت بها وترتقي بنفسك لتفرض على الآخرين كيانك وشخصك, صدقني أن نجحت مع نفسك ستنجح مع الآخرين, دلل نفسك وأحنو عليها فهي لها عليك الف حق وحق, لم اكن قادرة على منعها من اشعال السجائر لكنني اعددت لها فنجان القهوة واخذت انظر الى عيناها المليئتان بالغضب والتذمر قلت لها تفضلي فنجان قهوتك نظرت الي وقالت شكرا ثم بدات تعطيني وصفا للفستان الذي تريده اسود ذو خيوط ذهبية فقمت عن الكرسي لاخذ مقاسها ثم قلت لها اجلسي لا اعلم لماذا ارتعش جسدها عندما اخذت مقاسها سالتها هل انت بخير ؟ رغرغت عيناها ونفثت

سفارتها وقالت أجل أنا بخير, عاودت عليها نفس السؤال هل أنت بخير فأجابتني وهي تنظر إلى الأقمشة المعروضة خلفها لا لست بخير فقلت لها ما بك جسمك يرتعش فقالت لي هكذا نحن نعيش على الهامش لا مكان لنا الخوف يملؤنا أصبحنا فريسة لرجال خائنون. صحت كثيرا في كلامها وقلت لها أرجوك أخبريني ماذا بك؟ قالت وهي تنظر إلى لقد خرجت من المستشفى منذ أسبوع ثم أخذت تبكي قمت ومسحت دموعها وقلت لها على سلامتك بدأت تصرخ ويعلو نحيب صوتها وهي تبكي لقد أجهضت طفلي الذي طالما حلمت به ثم شهقت روحها ولم تكمل, لا أعلم فدموعي خانتني تلك اللحظة ونزلت ولم أعلم كيف سأخفف عنها وجعها وكيف علي مواساتها جلست على الأرض وأخذت تبكي بحرقة أمسكت بيدها وأجلستها على الكرسي مسحت دموعها وأحضرت لها كأسا من الماء سألتها مع أسفي لماذا اجهظتي طفلك؟ نظرت إلى وقالت لي انظري إلى انظري إلى جسدي الملون من الضرب, كم انه رجل قذر لقد ضربني حتى اجهظت لا اعرف أي صنف من الرجال قد يكون قتلني وقتل ابننا الذي انتظرناه طويلا, ارؤتجفت

قدمي وانا استمع لها كيف لرجل ان يضرب زوجته حد الاجهاض كما انني غضبت منها كيف لها ان تأتي لشراء فستان وهي بحزنها وكيف ستذهب الى حفلة رغم كمية الوجع الذي يسكنها سالتها عن ذلك دون استئذان فضحكت بسخرية وقالت لي أنت لا تعرفين زوجي مكانته المرموقة تجعله يفعل أي شئ وان لم اذهب معه الى الحفل سيتحدث عنا الاخرين بسوء ولن يتحمل كلام احد سيعود وسيضربني مرة اخرى ساتوسله كعادتي لكنه لن يهتم سيشبعني ضربا, غضبت كثيرا من كلامها كيف له أن يأذيها بهذا الحد وبأي حق يضربها لأنها زوجته أم لأنها لا تملك من الأمر شيء, كيف لها أن تقبل أن تعيش معه فالموت ارحم من البقاء مع رجل ليس على أن أقول عنه رجل بل هو عار على الرجولة, أمسكت يديها وحاولت تهدئتها لكنني لم أكن قادرة على أن أوقف رجفاتها وبكاؤها وخوفها فقد ازدادت رجفا لكرهه وأشعلت سيجارة أخرى لتهدئ, سكت ولم اعرف ماذا عساي ان افعل لها نظرت الها وقلت لها انظري الى عيناي لكنها لم تستطع لكنني اجبرتها ان تنظر الي وقلت لها بصوت عالي انظري الي لقد تركني وانا بحاجته

تائهة في الشوارع لا اجد أي مكان لالجا اليه احمل طفلته في بطني ولم يكن يعرف ولم اكمل لها البقية هدءت قليلا وقالت لي كيف ذلك؟ كيف استطعتي ان تفعلي لاجلك كل هذا قلت لها وبهدوء وانت تستطيعين فعل ذلك مع نفسك عليك ان تهربي منه ان تتخلصي من ظلمه ستجدين راحتك بالبعد عنه لا تهتمي بالمال ستعملين وتعملين ستصبحين سيدة قوية لا تجعليه يكسرك, اكسري كبرياؤه بانك تستطيعين التخلي عنه, فان القوة تكمن في التخلي في الرحيل وفي ترك كل ما يؤذينا لنستعيد توازننا وقوتنا قد تحتاجين الى الوقت لكنك ستربحين في النهاية نفسك التي لها عليك الف حق وحق نظرت إلى وقالت لي لن أتركه أريد منك الفستان يوم الإثنين المقبل نظرت إليها نظرة مشبعة بالغضب والكره وهززت براسي وقلت لها مثلما تريدين بالتأكيد سيكون جاهزا, ثم رحلت تاركة رماد سجائرها ليتها احترقت بهن, لأنها ستحترق أكثر وأكثر أن بقيت على حالها لن يجعلها تتوكأ عليه ولن يحتضنها ليعتذر منها, فإن الرجال لا يحبون تلك التي تذل نفسها من أجلهم ومن أجل العيش معهم, لذلك لن تكون سوى عابرة في

قلبه يذهب إليها وقتما يشاء ويضربها متى يشاء, لا أنكر حاجة المرأة إلى رجل في حياتها لكن نظرة بعض الرجال مختلفة ويرون أن هذه الحاجة هي ضعف وهنالك من يحترم حاجتها ويرفع من قدرها ويخاف عليها وهنالك من يسندها.

كان على أن أقدم لها النصيحة حتى وإن كانت ردة فعلها تدل على عدم رغبتها في تركه, كم أتمنى أن يتفهم زوجها رغبتها في البقاء معه وألا يؤذيها مرة أخرى. عدت إلى عملي لأنجز الفساتين التي لم أكملها بعد فوقعت عيني على فستان أسود مزركش باللون الذهبي ذكرني بتلك الليلة التي تم فيها دعوتنا لحضور زفاف صديقنا أكرم وزوجته نرجس التي تزوجها عن حب بعد مشاجرات طويلة بين كلا العائلتين, رتبت وقتها المنزل باكرا وبدأت تجهيز نفسي وأنا أرقص من الفرح فقد مر وقت طويل ولم أحضر زفاف أحد فزوجي علي لا يريدني الاختلاط مع أحد لكن أكرم يعني له الكثير فوافق على أن نذهب, كان قد رجع من منزل أهله في المدينة الأخرى وقد أخذ إجازة لهذه المناسبة, جلس على الأريكة يقرا الجريدة بينما كنت أجهز له ملابسه وبعد انتهائي من ذلك جلست إلى جانبه فأخذ ينظر إلى عيناي

وقال لي تشعرين بالسعادة إذن ابتسمت فرحا وقلت له لقد عانيا كثيرا وأنا سعيدة لأجلهما, شرد قليلا وقال كم أنت طيبة القلب وكم أخاف أن يلاحظ أحد غيري ذلك وقبلت رأسه وقلت له وانت رجل طيب وانا سعيدة بذلك, وفي المساء لبس بدلته السمراء بينما ارتديت فستانا احمر طويل ورفعت جزء من خصلات شعري والبقية جعلته منسدلا على ظهري وبدات بوضع مساحيق التجميل فنظر الي وقال هل ستخرجين هكذا؟ ماذا تعني؟ وكيف ساخرج فقال لي هذا لافت للغاية ارتدي لونا اخر, شعرت بالاستياء من ذلك لكنني بدلته بفستان اسود مزركش بلون ذهبي ومسحت مساحيق التجميل كما طلب مني وذهبنا الى الحفلة دون ان نتكلم مع بعضنا البعض وصلنا القاعة وبدأنا التسليم على معارفنا وهنالك التقيت باصدقاء قدماء من ايام الدراسة ووقفنا برفقتهم وبعدها طلبت مني ريم ان اذهب معها لانها تريد اخباري بموضوع هام فابتسمت من السعادة لانني اعرف انها ستخبرني عن حبيبها وكنت سعيدة لانني لم التقي بهم منذ زواجي ووقفنا عند طاولة لوحدنا الى ان جاء صديق اخر لنا اسمه عمر سلم علينا ووقف معنا وبدأ يثرثر

مع ريم وانا استمع اليهم كانا يتحدثان عن نرجس وعن ايامها في المدرسة ثم بدات اشاركهم الحديث وقد شعرت بالارتياح ثم بدات رقصة العروسين وكنا نستمتع لهما ثم جاء علي ووقف الى جانبي وهو يبتسم ظاهره لكنه غاضب من الداخل ويخفي ذلك, انتهت الرقصة وسلم عمر عليه وقال له انت محظوظ فقد تزوجت باجمل فتاة في المدرسة وهي سمراء شعرت بالخوف من داخلي بسبب نظرات على القاسية تجاهه ثم قال عمر مازحا وما زلت أجمل منهن نظر علي بغضب وقال له فرصة سعيدة بمعرفتك وامسك بيدي وقال لنذهب إلى المنزل قلت له لا أريد أن نذهب لنكمل الحفلة معهم لكنه شد على يدي بقوة وقال لنذهب. . . سكت ولم أجادله وعدنا إلى المنزل وفي تلك الليلة شعرت لأول مرة بأنه غريب وكانه لا يعرفني, فقد قال لي أشياء كثيرة كانت ثقيلة على قلبي, فقد قال لي حينها طوال الوقت وأنت تضحكين مع عمر وكأنك عشيقته ولم تنتبهي على نفسك بانك متزوجة وأنتي على ذمتي لم أتحمل كلامه وقاطعته بصوت عالي أنت لا تعرف ماذا تقول يا للأسف, واردة الدخول إلى غرفتي لكنه امسك بقوة بيدي وسألني ما

علاقتك به؟ هيا أخبريني سكت ولم أجب على سؤاله فازداد غضبه فقلت له عمر صديقي من أيام الدراسة هز برأسه ولم يعجبه كلامي وقال كم هو رجل وقح يتغزل بك وأنا معك نظرت إليه بقسوة وقلت له لا تشك بنيته لم يقصد ذلك ودخلت إلى غرفتي وتركته مع نفسه يصرخ بصوت عالي ويقول انت لا تشعرين بي؟ انت على ذمتي اخذت نفسا عميقا وحبست دموعي وكدت ان اجن ثم سمعت صوت باب المنزل يغلق فخرجت من غرفتي فكان قد غادر المنزل حينها بدأت دموعي تذرف وبغزارة كان كلامه ثقيل علي مثل السم, تمنيت حينها اننا لم نذهب الى الحفلة لكنا سعيدين معا دون احد. هكذا كنت أعتقد لكن الأصح هو من أخطأ في حقي وليس أنا كان عليه أن يعتذر مني لا أن اعتذر بعدها منه على خطأ لم ارتكبه, مضت أيام ولم يكلمني بها بأي كلمة كنت أشعر بالوحدة كثيرا فقررت أن اعتذر منه ليعود لي فلم يكن لدى حيا آخر, فان كزوجة علي المحافظة على بيتي, تركت مدينتي وعائلتي وقبلت به رغم كل شيء وها أنا أدفع ثمن تلك المشاعر التي جعلتني أسير طريقا لا أعلم كيف ستكون نهايته وكيف سأعود

لعائلتي التي عاندتهم من أجله وهو الآن يتصرف معي وكأني لا أعني له شيئا وكأنني جزء من ممتلكاته يتصرف معي بهذا الأسلوب, يستفزني كثيرا غضبه اللامتناهي.

-مرحبا

-أهلا بك

-هل فستاني جاهز؟

--أجل سأحضره لك

قمت وأحضرت الفستان لها وأخذت باقي المال منها, كنت قد قررت من الأسبوع الماضي أن اذهب إلى السوق واشتري بعض الأشياء لسلمى, لا أعلم ماذا تحب أن اشتري لها, لكنني سأحاول أن يكون شيئا جميلا يبقى ذكرى لها طول العمر.

سلمى:

استيقظت متأخرة في يوم إجازتي لكن سرعان ما جهزت نفسي سريعا وتناولت فطوري لأذهب إلى المخيطة لمساعدة أمي ودون أن اهتم بملابسي اخترت فستانا مزركشا باللون البني والأصفر يشبه الملابس القديمة, وصلنا المخيطة

وأخذت الطلبية التي سأوصلها لفيلا السيد أشرف نظرت إلى أمي وقالت لي لا تتأخري ركبت التكسب وذهب وعندما وصلت أخذت انظر إلى الفيلا التي يعيشون فيها, الحديقة جميلة في منتصفها نوافير مياه وفي الجانب الأيسر ممر لمصف سياراتهم وأمامي ممر مملوء بالورود المؤدية إلى الباب تأملت المكان فكم هو جميل ثم طرقت الباب ففتحت لي الخادمة فقلت لها طلبية من المخيطة فقالت لي تفضلي من هنا فدخلت خلفها الى قاعة كبيرة مملوءة بالفراش الفخم والجميل وهنا رايت زوجة السيد اشرف لاول مرة لم اتفاجا من رؤيتها فقد شعرت بانني رايتها من قبل لكن اين, لم اتذكر اخذت مني الفساتين وطلبت مني الانتظار لحين انتهائها من تجربتهن, سمعت صوت رجل يتحدث الى الخادمة ويسالها عن اغراض له التفت لارى من هو؟ فكان عاصم دققت النظر لاتاكد من انه هو ام لا, اجل هو عاصم حبيب نيفين التي حضرت حفلة ميلادها, التفت الي فعرفني فجاء يمشي متجها نحوي املت راسي للاسفل ولم استطع النظر اليه التفني الخجل ولم اعرف ماذا سافعل فقال لي – مرحبا فقلت -اهلا بك

-هل انت سلمى صديقة نيفين

-اجل وانت عاصم؟

نظر الي وقال اعرفتيني؟

-اجل عرفتك

-ماذا تفعلين هنا؟

-جئت من اجل الملابس ولم اكمل حديثي فقد قاطعتني والدته وقالت لي الفساتين جميلة شكرا لكم وهذا هو ثمنها, اخذت المال وقلت لهم عن اذنكم وخرجت فتبعني عاصم ينادي علي توقفي, لم اعرف ماذا افعل فقد شعرت بالخجل وتوقفت فاقترح ان يوصلني لكني رفضت ذلك فقلت له ساخذ تكسي واذهب شكرا لك, لكنه اصر ان يوصلني فقبلت ذلك ركبت معه السيارة واخذنا الحديث عن الدراسة والاهل كنت اشعر بارتباكه بالحديث معي حتى اني شعرت بالندم لاني قبلت الركوب معه, وصلنا المخيطة تشكرته ونزلت من السيارة, اخبرت امي اني اوصلت الفساتين ثم طلبت اذنها لاذهب الى السوق وذهبت, الحياة مليئة بالصدف لم اكن اتوقع انني سارى عاصم مرة اخرى لكن

هذه المرة شعرت بتوتره تجاهي اكثر مني لربما لانه لا يعني لي شيئا, فكل ما يهمني هو ذلك الرجل المموج شعره بالشيب الذي يملاؤه الوقار وصلت محل المجوهرات لاخذ العقد الذي اوصيت عليه اخذته واعطاني البائع علبة عطر صغيرة هدية معه دفعت ثمنه وركبت السيارة لاذهب الى الشاطئ اريد ان التقي به اريد رؤيته ولو لمدة قصيرة وصلت عند الصياد بينما عيوني تلتفت يمنة ويسرة باحثة عنه سالني الصياد عن حالي ولم اجبه نظرت اليه وقلت له اين هو؟ نظرب باستغراب وقال لي من؟ فقلت له السيد علي هل جاء الى هنا فاجابني انه لم ياتي اخذت اسير على الشاطئ احمل القلادة في يدي وافكر باللقاء به وكيف سيكون ذلك, اريد ان اعتذر منه أريد ذلك حتما عدت إلى الصياد مسرعة وقفت عند باب دكانه أنادي عليه وأقول له أريد أن اعتذر من السيد علي أريد أن أراه سمعني الصياد فابتسم التفت خلفي فوجدت السيد علي ارتبكت وأحمر وجهي خجلا ولم أستطع النظر إلى عيناه وقلت له بصوت منخفض آسفة لم يكن قصدي, تبسم وضحك ضحكته التي تزيد من وجهه استدارة وتجعلني أحبه أكثر فأكثر ثم قال

حسنا عزيزتي أنا جائع وأنتي؟ هززت برأسي وكدت أن يغمى علي من الفرحة وأنا أيضا جائعة, وقلت له اشكرك فقال لي على ماذا؟ فقلت له على معرفتك جلسنا معا على الطاولة ووضعت القلادة على طرفها فاخذها مني وقال سمراء وسكت تغيرت ملامح وجهه بالكامل اخذت القلادة منه وانا ابتسم وقلت له لماذا صدمت من الاسم نظر الي وقال لي الاسم غريب لكنه جميل, ارجعت خصلات شعري عن وجهي وقلت له الاسم غريب لكنه جميل وامي جميلة جدا فقاطعني وقال وانتي جميلة سكت قليلا وقلت له جميلة لكنني اشبه والدي اكثر هكذا تقول لي امي, -حقا؟ اتشبهين والدك؟ -اعلم انك ستتفاجئ بما ساقوله لك لكنني لا اعرف والدي حدق بي وقال كيف لا تعرفينه؟ فقلت له لا تفهمني خطأ فقد ترك والدي امي وهي تحملني في بطنها, تغيرت ملامحه بالكامل لربما انه شعر بالحزن لاجلي ثم قال لي اريد الذهاب لدي عمل طارئ لا اعلم لماذا يصمت عندما بدات اخبره عن نفسي, لا اعلم مما يخاف ولماذا يفعل بي هكذا, في كل مرة فيها يتركني ويرحل دون سبب وكانني وكلما اشعر بحب وجوده كان علي ان اشعر بفقدانه عندما

يرحل, رن هاتفي واتصل بي عاصم اخبرني بان والدته تريد التحدث معي وذهبت مسرعة الى منزلهم, وهنالك طلبت مني ام عاصم ان اكون برفقة ابنتها رغد عندما تختار فستانا من عند امي لم امانع من ذلك فهي طلبت مني لتاكدها بانني ساختار لها فستانا جميلا فهي طفلة لم تتجاوز الحادية عشرة من عمرها اخذتها وذهبنا معا بسيارة عاصم الذي اصر ان يكون برفقتنا, بدأ ينظر الي بعيونه الواسعو البنية لكنني لم اكن قادرة على النظر اليه فهو بالنهاية شخص لديه حبيبة سالني هل تحبين الاغاني الكلاسيكية فقلت له احبها واسمعها كثيرا فقال لي من تحبين اكثر فقلت عبد الحليم ثم سالني واي اغنية فقلت قارئة الفنجان اكمل قيادته وهو يتمتم يا ولدي لا تحزن فالحب عليك هو المكتوب لم اكن اعلم انني حركت مشاعره تجاهي فانا في داخلي ذلك الرجل الذي يجعلني انتظره دوما ولا يأتي وصلنا المخيطة واخبرت امي باني سأختار لرغد فستان جميل وسنرى ان كان بحاجة الى تقصير او ما ما شابه ذلك لأنها ليست طويلة, لم يعجبها أمي أني ذهبت إلى منزلهم مجددا وأنني أهتم بهمة وأنني أركب مع عاصم فهي لا تحب ذلك

أبدا, انتهينا من اختيار فستان لرغد وقالت لهم أمي لياتوم الأسبوع القدم لأخذه ثم ودعها عاصم باحترام وخجل لأنه شهر بتوترها من وجوده, ثم رحلا لأبقى مع أمي التي لم تكف عن التكلم معي وسؤالي هل هنالك شيء بينك وبين عاصم, غضبت لسؤالها فأنا لا أحبه فكيف تقول لي ذلك عدت إلى المنزل قبلها وجلست كثيرا أفكر في كلامها هل حقا هو ينظر الي باعجاب كما تقول وانه يحاول التقرب مني, فكرت كثيرا حتى غفوت.

علي:

لم أستطع تحمل سلمى وهي تتحدث إلى شعرت بوخزات ألم في صدري اسم أمها سمراء وهي لا تعلم عن والدها شيء أيعقل ذلك؟ . . . لا أصدق هل من الممكن أن تكون. . . لا أعلم أنني حقا لا أعلم شيء كيف يمكن ذلك لقد تركتها ولم تكن حامل لا ليست هي ربما تشابه في الأسماء لا أكثر, ربما ذلك لكنني عندما رايت سلمى لأول مرة شعرت بأنني أعرفها حركات يداها عندما تداعب خصلات شعرها وضحكتها وعصبيتها, أنا حقا لم أعد قادر على استيعاب شيء, أتذكر في تلك الليلة التي عدت فيها متأخر

عن المنزل وبدأت تصرخ وهي ترتجف خوفا – أين كنت ومع من؟ كان سؤالها يقتلني كيف أستطيع أن أكون مع امرأة غيرك كيف؟ وبدأت ترمي اتهاماتها دون أن تلاحظ حجم التعب الذي كنت اشعر به وان علي العمل اضعاف عملي لاحصل على منصب اعلى وهي تتفوه بكلام ليس عليها قوله فازدادت غضبا بينما جلست على طرف السرير لارتاح ولم انطق باي كلمة اردتها ان تفهم ما اشعر به لوحدها لكنها ضربت بكفها على كتفي وقالت لي لا تسكت اخبرني مع من كنت؟ رفعت حاجبي وبدأت اثور غضبا وهي لم تلاحظ, كم كان غضبها كثيرا وكانها تستجمع لي كل أخطاءي كما عادت بفتح القصة الماضية فقالت لي اتشك بي وانا لم ارى في العالم سواك, ايحق لك ان تسجنني هكذا وانت تعود في وقت متاخر متعب وتريد مني ان اشعر بك, حينها قلت لها توقفي عن الكلام والا – والا ماذا؟

ماذا ستفعل لم اكن اريد ضربها لكنها اجبرتني على ذلك ضربتها بكل جنوني ولم اكف عن ذلك وما زال صوت صراخها وهي تقول لي ارجوك توقف عن ضربي عالق في اذني وبعدها خرجت من المنزل, مسرعا يقتلني الندم كيف

فعلت بها ذلك لم استطع تحمل ما فعلته بها فهي احب الي من نفسي, كانت اصعب ليلة تمر علي بقيت اراقب ضوء المنزل من بعيد, حتى جلست تحت الشجرة خفت كثيرا عليها كنت احترق لاجلها ولاجل دموعها وبكاؤها, كيف فعلت ذلك بها ووكيف استطعت اذيتها لهذا الحد, ندمت كثيرا وقررت ان اعتذر منها ان افعل أي شئ من اجل ان تسامحني, فذهبت صباحا واشتريت من المتجر باقة من الورد الابيض كما تحبه وذهبت مسرعا الى المنزل طرقت الباب ففتحته لي بسرعة اخذت تنظر الي وفي عيونها الخوف اين امضيت ليلتك؟ جعلت الورود جانبا ولم اقل أي كلمة فقد ازدت وجعا والما لقد جئتها معتذرا لكنها لم تعاتبني كانت تسالني عن حالي, يا الهي ماذا فعلت بها فحتى الورد لا يشبه نعومتها ولا دفء مشاعرها ونقاؤها, جعلتني اتوجع اكثر فاكثر فانا لم اعد قادر على تحمل انوثتها اكثر من ذلك, اردت ان تحضر لي الطعام لكني طلبت منها ان ترتاح قبلت يداها وجبينها واخذت ابكي بين يداها لاني اذيتها كثيرا, شعرت بانني طفل يبكي في حضن والدته ومع ذلك لم تحمل أي كره في قلبها تجاهي. مشاعر

النساء ليست كمشاعر الرجال ليتنا نمتلك القليل من رقة مشاعرهن, كنت أخاف على رجولتي كثيرا منها, ولا أستطيع أن أتعامل معها كالبقية فهي متفردة ولا تشبه أحد, كانت كلما طلبت مني شيئا ذهبت مسرعا لإحضاره لها دون تردد لكنني كنت أخاف عليها كثيرا مني حين أغار وعندما أشعر بأنها تهتم بأمور وتقلل اهتمامها بي, كنت أريد دائما ألا تكون سوى لي. لكنني اليوم حائر هل يعقل أن تكون والدة سلمى هي نفسها التي أبحث عليها, أيعقل أنها تزوجت من بعدي أمسكت الهاتف واردة الاتصال بسلمى لكنني ارتجفت خوفا من ردة فعلها فأغلقته بسرعة.

سمراء: تمر الأيام بسرعة ويمر كل شيء أصبحت مؤمنة بان الأشخاص اللذين نتعامل معهم اليوم لن يكونوا موجودين في الغد سيمرون كغيرهم وينتهي الأمر بفتح صفحة جديدة لأكتب من جديد, كم حاولت كثيرا أن أتمسك به لكنه لاذ بالفرار في حين كان عليه البقاء أن يبقى ليرى ابنته وهي تكبر عاما بعد عام لقد تركني وقد كنت بأمس حاجتي إليه على الرغم من أنني ذات يوم خرجنا لنتمشى معا فتعرقلت قدمي بالأرض فامسك بي وبقوة حتى اتزنت

نظرت إليه مبتسمة خائفة لكن نظر إلى بخوف فقلت له لا تقلق أنا بخير, لم أتأذى أنها مجرد عرقلة بسيطة فقال لي حتى هذه البسيطة التي أوجعتك تؤلمني كثيرا فقلت له وأنا ممسكة يده بقوة أنت لا تعلم انني اشعر بالخوف من فقدانك فانا لا استطيع ان اخطو خطوة واحدة الا وانت معي ولا استطيع فعل شئ بدونك, افقد ثقتي في ادق التفاصيل اخاف ان ياتي شتاء عاصف على قلبي وان لا ياتي بعده الربيع ان يكون كل شئ مظلم ومنطف في داخلي بعدها بدات وكانك تنسحب من حياتي وكأنك تهرب من شيء لا أعلمه.

ذهبت إلى نيرمين فقد اتصلت وشعرت بانقباض في داخلي لأنها ليست كعادتها أن تطلب مني الذهاب إليها وصلت منزلها وجلسنا في غرفة الضيوف وجلست بجانبي وقدماها يرتجفان خوفا نظرت إلى بخوف وقالت سمراء أريد أن أخبرك بشيء فقلت لها أخبريني ماذا بك؟ فقالت لي لقد ذهبت إلى السوق ورايت شخصا هناك –أكملي نيرمين من هو؟ -لماذا توقفني عن الكلام؟ نظرت إلى وعادت كلامها مرة أخرى فازدادت دقات قلبي اضطرابا – أخبريني من هو؟ سكت قليلا ثم قالت رايت زوجك على, توقفت دقات

قلبي, ماذا؟ وكيف؟ لا أصدق صدمت بالكامل تجمدت كافة أطرافي أيعقل انها رات علي ام مجرد تشابه, هززت كتفها بقوة والخوف والتوتر يملاني اخبريني نير مين اكان علي ام لا امسكت بي وبقوة وقالت للأسف هو, هنا ذعرت بالكامل وكأن صفعة من الذكريات أصابتني وهزت كياني, بقيت متماسكة حتى انهارت دموعي بالكامل وبدأت تتساقط كأوراق الخريف أمسكت بي نيرمين وأخذتني إلى الحمام لأغسل وجهي ولأهدأ قليلا لم أستطع أن أتفوه بكلمة واحدة فالوجع متضاعف هذه المرة, أصفر لون وجهي وكأنني تلقيت صفعة قوية, عدت وسألتها مرة أخرى كيف هو؟ وكيف شكله الآن وكيف رأيته وأين؟ كل هذه الأسئلة وجهتها لها دون أن أعطيها مجالا للإجابة, فقالت لي اهدئي وسأخبرك, فقالت لي عندما ذهبت إلى السوق دخلت محل العطور وما أن خرجت منه وجدت رجلا يرتدي معطفا طويلا ذو قماش خريفي شعرت بأنني أعرفه من مشيته فلحقت به عندما دخل محل المجوهرات ونظرت إلى وجهه جيدا فكان زوجك علي ثم ركضت بسرعة كي لا يراني, أما شكله فلم يتغير كثيرا فقط تغير لون شعره, توقف قلبي

وهي تخبرني فكيف عاد بعد كلهذه السنوات ولماذا عاد؟ فقالت لي ربما أتى صدفة إلى السوق وربما قد يكون قد تزوج وبدا حياته من جديد بعدما تركك, لا تفكري به فلو كان يريدك لما تركك كل هذه السنوات, شعرت بغصة في قلبي وبحرقة شديدة من كلامها الصادق الذي يوجعني, فأجل كما تقول نيرمين ربما مجرد صدفة. عدت إلى المنزل وكلماتها عالقة في داخلي أتلفت يمنة ويسرى لعل بصدفة تجعلني أراه, تجمعنب به, تفاجأت بسلمى تحضر لي قالب الكيك والعصير وأخذت تقبلني بشدة تخبئ لي مفاجأتها, ابتسمت لكنني منهارة من الداخل لكننا قضينا ليلتنا نحتفل دون أي مناسبة ثم أحضرت لي العقد وطلبت مني أن ارتديه طول العمر, كم تشبهك يا علي عندما كنت تحضر لي هدية وتطلب مني أن احتفظ بها وللأبد وقد فعلت ذلك, لقد كنت زوجة مطيعة ولم أتذكر أني آذيتك وعن قصد مني, حتى بأبسط أختاي التي لا تعد خطا كنت أعتذر منك مليون مرة, لا أعلم إلى الآن لماذا فشلت علاقتي بك ولماذا لم تدوم إلا لثلاث سنوات, طرقت الباب سلمى فأذنت لها بالدخول سالتني عما تريده مني نيرمين لكنني حاولت أن لا اجعلها

تشك بالأمر فقلت لها خالتك نيرمين تريد مني أن أحيك لها فستان سترتديه على خطبة ابن أختها, سكتت قليلا ثم قالت لي لقد اعتقدت بأنه أمر في غاية الأهمية فحاولت أن اجعلها لا تهتم لذلك فقلت لها تعرفين خالتك نيرمين عندما تريد شيء تبقى متوترة لحين أخذه, ثم أردفت قائلة لها وأنت ماذا بك اليوم؟ لما أنت شاحبة؟ صادرات وجهها إلى ناحية المرأة لتتفحصه وقالت بخير لكني شعرت بان اليوم طويل كما أن فصل الخريف يشعرني دائما بالياس, امسكت يدها بقوة وقلت لها كوني قوية فلا بد ان تزهر الحياة في فصل الربيع فلا داعي لان تكوني ضعيفة بهذا الشكل ثم بدات اخبرها عن قصة قديمة وانا اسرح لها شعرها فقلت لها يحكى ان هنالك فتاة جميلة تزوجت شابا يعمل في التجارة يرحل من بلد الى اخر لكنها كانت تبقى في المنزل تشعل الشموع كل ليلة وتجلس عند النافذة وتراقب طريق عودته وتتخيله يوما بعد يوم فكانت لا تستطيع ان تجعل حياتها تسير باي طريقة, فقط تهتم بابنها وباقي اليوم تفكر بعودة زوجها الى ان جاء يوم كانت الرياح باردة واوراق الاشجار تتساقط يوما بعد يوم وكعادتها تنتظر عودته وفجاة

راته ياتي من بعيد فاشعلت الشموع وذهبت مسرعة لاستقباله لكنه جاء هذه المرة ليحزم بقية امتعته ويرحل فقد جاء ليجعل رحيله كاملا تمسكت به وبقوة لكنه كان قد قرر الرحيل, ظنت أنها قد أخطأت بشيء ما لكنها لم تعرف أنها لم تعني له شيئا سوى أنها والدة ابنه كان سيئا جدا لأنه قال لها لعلي أعود عندما تزهر الورود في فصل الربيع لم تكن تعلم أنه سيرحل وللأبد فهذه الكلمة جعلتها تنتظر عاما بأكمله وبنفس الطريقة تراقب عودته وتطفئ الشموع بعد منتصف الليل إلى أن جاءت امرأة عجوز ترأف بحالها وبدأت تقدم لها النصائح بان لا تعيش على انتظار أحد فلو كان يريدها لما رحل ولما خلق الأعذار ليرحل, كان سيبقى حتى لو أخطأت في حقه, حينها بدأت الزوجة تفهم ذلك وتتقبله الخيبة التي عاشتها بسببه ولم تعد تنتظره بل أصبحت تعمل أشياء اخرى لتربي ابنها وقد استطاعت في النهاية ان تغلق نافذة ذكرياته والى الابد وبعدها اصبحت امراة قوية مزهرة في كل الفصول حتى هواء الخريف البارد لم يعد يخيفها. هل أعجبتك القصة –نعم يا أمي أعجبتني كثيرا سأذهب إلى النوم تصبحين على خير –

وأنت أيضا, خرجت سلمى من غرفتي بينما بقيت أكرر كلمات تلك المرأة العجوز, لم أستطع أن أخبرك يا سلمى بأنني أنا تلك المرأة لكنني غيرت الكثير من الشخصيات كي لا تعرفي من هذه السيدة ليتك تعلمين حجم المعاناة التي عشتها, أما على فبأي وجه يريد أن يعود وربما كلام نيرمين صحيح ربما صدفة لا أكثر, لن أنسى ما فعله به سأتذكر قسوته كي لا احن أبدا ولن أخبره عن سلمى مهما حدث فهو لن يكون والدا لها فهو لم يعد يهمني كالسابق فكل ما يهمني الآن هو سلمى وكيف ستكون حياتها أن عاد إلينا وماذا سأفعل أن عاد؟ لم أعد قادرة على التفكير أكثر من ذلك فاي مصيبة حلت علينا بعد هذه السنوات ألم تكن صفحة مطوية فلماذا تعود الآن ولماذا تفتح صفحات باتت مطوية ألا يكفيك ما عانيته بسببك.

الفصل التاسع (سلمى)

ظننت أنني سأنام إذا استلقيت على السرير لكن الكثير من الأمور مرت علي وطرقت تفكيري, هل المرأة التي أخبرتني أمي قصتها هي نفسها أمي, هل كانت تحبه كثيرا إذن لماذا افترقا؟ وأيضا السيد علي لماذا ذهب مسرعا

اليوم ولماذا لم يكمل حديثه معي أظن بأن على أن اعرف ذلك قمت وأمسكت الهاتف لاتصل به اتصلت مرتين ولم يرد والثالثة قال لي أهلا عزيزتي ابتسمت ابتسامة ملات وجهي يا إلهي كم هو لطيف في كلماته, سألته عن سبب ذهابه مسرعا اليوم سكت قليلا ثم قال لي بانه تذكر عملا ضروري, عدت وسالته مرة اخرى وما هو هذا العمل فقال لي صغيرتي اهدئي عن الاسئلة قلت لك عمل خا لكنني سكت ولم ارد عليه فقال لي تكلمي لماذا توقفتي عن الكلام؟ لكنني بقيت صامته ولم اجبه فعاد قائلا لي وانا اقرب سماعة الهاتف لاذني لاسمع همسات صوته وهو يقول لا تتصرفي معي هكذا انه امر هام وكان علي الرحيل افهميني ارجوك, شعرت بالخجل من طلبه فقلت له اتفهمك لكن لنلتقي مرة اخرى فرد علي سنلتقي هذا مؤكد تخايلت ابتسامته وهو يتحدث الي ثم اغلقت الهاتف فقد طلب مني النوم وعدم السهر, اغمضت عيناي من السعادة ليته يعلم كم انني اسعد بلقائه وكم انني احب ذلك. استيقظت صباحا لارسل الفستان الى منزل السيد اشرف ولاكمل مخططاتي بلقاء السيد علي, طلبت مني امي كعادتها عدم التاخر فهي

تخاف علي كثيرا من نظرات عاصم الذي لا يعني لي شيئا, ركبت سيارة اجرة وذهبت الى منزلهم افكر بالسيد علي وعن ماذا سنتحدث, جلست على الاريكة انظر الى الاسفل انتظر رغد إن تنتهي من تجربة الفستان إلى أن جاء عاصم تبعثرت بالكامل عندما رايته وأحمر وجهي خجلا بينما هو ينظر إلى, سألني هل تشربين شيئا فقلت له لا أريد ذلك شكرا لك, سألته عن نيفين وعن أحوالها ففاجئني برده البارد والذي يعني بأنها لا تعني له شيء, كان يحرك ساعته كثيرا وكانه ينتظر شيء إلى أن خرجت رغد واتت والدتها تشكرني على الفستان, أصرت رغد أن اذهب معها إلى غرفتها في الطابق العلوي ولم أكن موافقة لكن إصرارها علي جعلني أرافقها الى غرفتها سرت وانا انظر يمنة ويسرة على فخامة المكان والرسمات المعلقة على الجدران وكانه متحف كم هو جميل هذا المنزل, دخلت غرفتها لازداد دهشة مليئة باللون الوردي وكانها غرفة الاحلام اما رغد فبدات باخراج فساتينها وتسالني ايها يليق بها اكثر من غيره, مرت نصف ساعة وطلبت الاذن لارحل تاركة اياها تلعب بالدمى لوحدها فانا ما يهمني هو لقاء

السيد علي خرجت مسرعة لاذهب اليه فاعترضني عاصم طالبا مني ان احيك له زر قميصة الذي سيذهب به الى عمله ولم استطع رفض ذلك فتحت حقيبتي واخرجت منها خيط وابرة وسالني هل تريدين مني أن اخلعه فقلت له لا سأخيطه وأنت ترتديه لا عليك لن اوؤذيك اقتربت منه فأزدت توترا وازدادت دقات قلبي اضطرابا من نظراته الحادة وبدأت أحيك الزر ولم أستطع رفع راسي لأنني كنت أشعر بقرب أنفاسه مني, انتهيت من خياطته وقلت له سأذهب الآن فامسك بيدي وهو ينظر إلى عيوني وقال لا تذهبي ابقي هنا, أبعدت يدي عنه وقلت له لدي عمل مهم سأذهب الآن شعرت باضطرابه وتوتره وخجله ثم قال أنا آسف فقلت له لا عليك سأذهب الان وذهبت تاركة اياه يراقب ذهابي وهو واقف في مكانه, كنت اريد تكسي لاذهب الى علي, اريد لقائه اخاف ان اتاخر فيرحل بعيدا وصلت الشاطئ وقد نسيت معطفي الخريفي في السيارة دون اخذه فالجو اصبح باردا في فصل الخريف لكن لا يهمني ذلك نظرت الى الطاولة فوجدته يقرا كتابا فذهبت مسرعة اليه, نظر الي واشار بيده اجلسي عزيزتي, جلست بهدوء ووقار

لاحترم انشغاله في القراءة, بقيت اتامله حتى اغلق كتابه وسألني كيف حالك عزيزتي.؟ يا إلهي كم هذه الكلمة تبعثرني عندما ينطقها أنا بخير وأنت؟ قال لي وهو يبتسم ويلوح بنظره إلى اليسار أنا بخير –هل تقرا الكتب؟ - أجل اقرأ منذ زمن بعيد – ومتى تقرا الكتب؟ - معظم أوقات فراغي اقضيها في القراءة – أريد أن أسألك سؤال هل يجب علينا أن نستند على أنفسنا ألا نحتاج لأحد أن نشكر اللوحات والكتابات التي تعيش بداخلنا تبسم لي تبسم العارف وقال لي في نهاية الحرب نحتاج إلى كتف لنوتكا عليه فقلت له لكن لسلامتنا أحيانا يجب ألا لا نتكل على أحد أن نكون قويين لأجل الظروف ولأجل الأيام فمن الممكن أن يكون هذا السند غير متين لنوتكا عليه وبمرور فصل شتاء ينهار علينا في أي وقت, هز رأسه وقال لي ربما كلامك سليم لكننا نحتاج أن نتظاهر يوما ما لنعرف طبيعة البشر لا بد أن نتعلم من أخطاءنا فنحن لن نستطيع أن نعيش وحيدين بعيدا عن البشر, كم كلامه جميل وموزون يجعلني اعشقه فوق العشق عشقين, سرنا على الشاطئ جنبا الى جنب امسك بيده وقلبي يتراقص فرحا الى ان جاء عاصم وفي

عينيه الغضب امسك بيدي بقوة وانتزعها من يده فقال له ماذا تريد ومن انت لتمسك فتاة وهي معي؟ ثم ضربه على وجهه وامسك بيدي واعادني اليه غضب عاصم وبدا يتشاجران وقال لي تعالي معي اتحبين رجل بعمر والدك الا يخجل من ان يمسك يدك والسيب يملاؤه الهذا السبب لا تستطيعين ان تنظري الي الا تلاحظين حبي لك غضب علي منه وقال له ان لم ترحل ساقتلك هذه الفتاة اياك ان تقترب منها وهي معي ارادا ان يضربا بعضهما فصرخت بصوت عالي كفا عن هذا الهراء وارحل يا عاصم من هنا أنت لا تعني لي شيئا وأمسكت بعلي وكانه أماني الوحيد وأخذ ينظر إلى وانظر إليه شعرت بأنني غارقة به نظر إلى عاصم وقال لي تحبين رجل بعمر الخمسين ألا ترين ذلك؟ ثم رحل غاضبا لم اهتم له فقد كنت غارقة في عيون على, فيهما من الطمأنينة ما يكفي, لم أكن أشعر يوما بالنقص أو بالخوف لكنني لم أعرف معنى الطمأنينة إلا عندما أمسك بيدي, غمزني بعينيه وابتسم وقال لي من يكون عاصم؟ فقلت له حبيب صديقتي وأيضا التقيت به في منزل السيد أشرف مسؤل المنطقة, رفع حاجبه الى الاعلى ثم انزله

وقال لي لا باس يا عزيزتي لا تخافي منه فهو شاب محترم, حدقت به كثيرا اتعرفه يعني؟ فقال لي لا لا اعرفه لكن هيئته تدل على ذلك لكن لا باس ان تكوني حذرة في التعامل وان لا تتسولي الحب ولا تفرضي نفسك على العابرين لانه سياتي يوما ما زائر ما مر من بستان الا وازهرا, نظرت اليه وبشدة اردت ان امسك بيده الى الابد فانا لا اريد زائرا في حياتي سواه, لا اريد شخص اخر طالما وجدت قلبه كالوطن فلا يمكنني التخلي عنه.

علي:

تركت سلمى بعد أن اطمأننت عليها وذهبت إلى مكتبي لأكمل معاملات بيع الأراضي للعملاء, لقد قالت لي بان عاصم ابن السيد أشرف مسؤول المنطقة أيعقل أنها هي ابنة سمراء أيعقل هذا التشابه أم أنه مجرد صدفة لكنني أتذكر أن أشرف كان صديقي في الكلية وعملنا معا في الوزارة أيعقل أنه أصبح مسؤول المنطقة, كيف على معرفة ذلك؟ أخشى الاقتراب أكثر أخشى ألا يكون مثلما أظن وإن كان ماذا سافعل؟ كيف لي أن أنظر الى عيناها؟ كيف لي ذلك وأنا الذي تركتها وأنا أعلم أنني لن أجد امرأة مثلها فلن

أجد قلبا كقلبها, لكن كبريائي جعلني أبتعد عنها لقد وقف كبريائي بيني وبينها لا اعلم لماذا أهملت نعمة وجودها وماذا حصل معي وكأنني كنت دون وعي أتصرف ودون أي ادراك, أصبحت رجلا قاسيا يريد أن يفرض نفسه عليها, شخصا اخر لا يهتم بمشاعرها.

الفصل العاشر (سمراء)

يخبرني الطبيب أنني لا أحبك وأنني كنت أحتاجك فقط, يقول لي المهدئ وستكونين بخير ولا يعلم أني لم أخذه منذ ستة شهور تقول لي نيرمين بأنها مسألة وقت وسيمر كل شيء وتقول لي إحداهن عليك توديع كل شيء يتعلق به ويقول لي أمام المسجد إن الحب لله وأنا أذكرك في دعائي وتلعن امرأة زوجها وكل الرجال وأقول لنفسي إلا هو احفظه يا الله وكأنني خلقت لاستوداعك كل حين بان لا يصيبك مكروه فيصيبني إضعافه, فحبك لم يكن عاديا بل أبجدية لستة حروف أدمنتم ولم انسحابي كرها بل خوفا عليك من مكروه قد يصيبك بسببي, من أن تؤذي نفسك من ان اكون عبئا على قلبك, كنت اريد اخبارك بالمعاناة التي

يعيشها قلبي في بعدك لكنك كنت دائما تلعن وجودي في حياتك وتخبرني بانك سترحل عني للابد, لم انسى يوما كلماتك ولعنتك يوم قلت لي بان اترك حياتك, اصبحت وقتها تثمل كثيرا ولكنني لم استطع تركك كنت امسك بيدك لاوصلك الى السرير, لم اعلم لماذا تغيرت فجاء وما الذي حدث؟ وكانك كنت تهرب من المسؤلية, تريد ان تعيش حرا كما كنت في السابق لكنك وانت معي مقيد بي اصبحت تشعرني بانني سجن لك ولحياتك لذلك اخفيت عنك حملي كي لا اجعلك تبقى معي وانت بوضع سئ وكي لا يكون وجودك بسبب الطفل وليس انا, كنت اريد اخبارك عندما تتوقف عن الشرب والسهر لمنتصف الليل مع اصدقائك وانا لم اكن ارغب بانجاب طفل ونحن بوضع متدهور, أتذكر ذلك اليوم الذي وصلتنا فيه رسالة انذار بأنه سيتم حجز البيت اذا لم نقم بدفع ما علينا من المال, صدمت بالمبلغ من أين سنأتي به وأي المصاريف قمت بها, أنتظرتك لتأتي لكنك تأخرت كعادتك فغفوت قليلا بسبب الحمل وعندما أتيت قمت بسرعة لأحضر ملابسك لكنك قلت لي ابقي جالسة لا اريد شئ أمسكت الرسالة من البنك وأعطيتك اياها قرأتها

ورميت بها جانبا وقلت بأنك ستدبر الأمر, غضبت بشدة منك فاين صرفت هذه الاموال وسألتك بكامل عصبيتي أين ذهبت بكل هذه النقود أخبرني؟ عقدت حاجبيك ولم تجب وامسك كاس الماء لتشرب حينها ثار غضبي فامسكت بيدك اخبرني اين صرفت هذه الاموال؟ صرخت بوجهي وقلت لي ابتعدي عني, ابعدتني عنك, كيف تفعل ذلك ولماذا تكرهني ولماذا لا تشرح لي ما الذي يجري معك, خرجت من المنزل وبقيت مع اصدقائك حينها خطر على بالي الكثير أن أتركك أن أنجو بنفسي من أسلوبك الذي لم أعد أطيقه, وألا أعيش معك. بعد كل هذه السنوات شعرت بأنني كنت عبء عليك لا أستطيع فعل أي شيء من دونك فقد كان ينقصني وجودك في كل شيء, كنت تريد مني أن أكون قوية ولست ضعيفة للحد الذي يجعلني احتضنك بعد كل مشكلة كي لا تتركني, لقد أخطأت عندما كنت أرمي ثقل الحياة عليك وحدك لكنني لن أسامحك مهما حدث.

سلمى:

ودعت علي وكنت منزعجة لأنني شعرت بان هنالك امرأة تسكنه, امرأة لن يكون مكانها أحد آخر, حاولت كثيرا أن

أكون مثقفة كثقافته لكنه دائما يتحدث معي من زاوية أخرى وكانه يريد مني أن أعيش الحب وأن أغامر وأن أكون شجاعة وفي نفس الوقت يريدني قوية وان انتظر الشخص الذي يستحق الحب, هو يعطيني النصائح ولا يعلم أنه يعيش بداخلي, فمن قال إن الأنثى تحتاج رجل يناسبها عمرا وذو منصب ومال, ولماذا يظن أغلب الرجال بهذا القول رغم أننا نبحث عن الطمأنينة عن الملجأ الامن عن الشخص الذي نستطيع ان نخبره باشياء لم نخبر بها احد, نحتاج ان يكون الشخص الذي امامنا سند وقوة وكتف متين نتكأ عليه وجدار لا ينقض, وعيناك يا سيدي فيهما من الطمانينة حقا انت لا تفهم معنى هذه الكلمة بالنسبة لي فانا بحاجة اليها, على الرغم من حبي لك الا انني منزعجة لانني انطق الكثير من الكلمات لاصل اليك لكنك بكلمة واحدة تبعثرني وتشتتني وتجمعني مرة اخرى, منزعجة لجهلي عن ماضيك الذي يجعلك مبعثرا لهذا الحد, يجعلك تجن وترحل سريعا الى مكتبك والى عملك والى مكانك الذي لا استطيع ان اصل اليه. رن هاتفي وكان عاصم كنت غاضبة لدرجة أنني أريد أن أحبه بدلا منك أريد أن ابتعد عنك وان

اهرب من الوهم الذي علقت به, فتحت الخط وأنا أعلم مشاعره تجاهي فطلب مني أن التقي به فقررت هذه المرة أن أغامر وأن أحب أحد ولن أسمع لنصائحك سيد علي, فوافقت وذهبت إلى المقهى حيث اتفقنا, لم تكن تغريني وسامته ولا ثراءه ولا أي شيء سوى أنني جالسة على الطاولة بمقابله وهو يتحدث إلى وأنا غارقة في التشتت والضياع بين كلامه ونصائح علي يحدثني عاصم عن رحلته إلى السويد بينما اتخايلك أيها القبطان كيف تركت موطنك وذهب إلى شواطئ بعيدة عنك, وكيف استطعت أن تغير وجهتك إلى غير المجهول وما الذي جعلك تعود بعد هذه السنوات ومن أنت؟ ولماذا أشعر برغبة في معرفتك أكثر فأكثر, سألني عاصم عنك ولم أعرف ما اقوله عنك سوى انك القبطان علي, شعرت بانه يغار منك فهو يحاول التقرب مني وانا لا اسمح له بذلك غازلني ولم اهتم ولم اشعر بشئ يقول لي بانني صعبة المنال ويطلب مني ان اسدل ستار الخجل وان امد له يدي ليمسكها للابد لكنني ارفض ذلك, شعرت بانني اجعله يخطو خطوات ثقيلة وانا لا اتزحزح حتى فخطواتي هو انت وكل يومي يكون لاجلك ولاجل

رؤيتك, غادرت المقهى وانا عالقة في التفكير بك وفي منتصف الطريق رن عاصم ليطمئن علي, اهتمامه بي يجعلني اخجل من ان اقول له بانني لا اريده, احاول ان اكون على الاقل لطيفة معه ولم انسى يوما كنت اعمل في المطعم وجهزت طلبية احدى الزبائن وكان هو موجود هناك وعندما وصلت الطاولة سكب احدهم العصير عمدا وقال بصوت مرتفع بانني لا اجيد العمل وان هذا المطعم غير جدير بالثقة فقام عاصم ورد عليه احفظ لسانك ولا ترفعه فهي لم تخطا بحقك الى ان جاء صاحب المطعم واخبره عاصم عما حدث والا كنت ساطرد من عملي بسبب المشاجرة التي حدثت, لا يمكنني نسيان التفاصيل التي فعلها الآخرون لأجلي حتى وإن كانت بسيطة. عدت إلى المنزل لأجد أم غارقة في دموعها ولأول مرة, اقتربت منها وقلت لها –أمي لماذا تبكين؟ ما الذي حصل؟ هل خالتي نيرمين بخير؟ لكنها لم تتكلم بكلمة أحضرت لها الدواء وأعطيتها كأس الماء لتشرب ثم جلست إلى جانبها أداعب خصلات شعرها وفي عيناها دموع لم تذرف بعد وقالت لي أتعلمين يا حبيبتي كم أحبك وكم أفنيت عمري لتكوني بهذا

القدر من العلم والقوة, أتعلمين أن والدك كان يحبني لكنه أحب نفسه أكثر ولم يحب أن يكون مقيدا معي كان يريد أن يعيش حرا دون أن يقلق أو يخاف علي, كان يريد ان يثبت دائما بانه قادر على التخلي عني وانا قد سئمت من ان اتوسله كل مرة ليبقى, سئمت كثيرا من ثقل الحياة لكنني بعد رحيله لم اشفى الا بعد فترة طويلة بعدما عرفت بان علي ان اكون قوية لاجلك ولاجل ان تعيشي حياة كريمة توسعت عيناي وانا استمع لكلامها فلماذا تخبرني بذلك ولماذا تخبرني عن والدي الذي لم اعرف شكله بعد؟ بدات افكر وافكر حتى سالتها عن سبب كلامها؟ سكتت كثيرا لتخبرني بانها رات والدي اليوم عندما ذهبت لشراء الاقمشة من المصنع, صدمت بالكامل وتقشعر جسمي لوالدي حقا؟ لا أعلم بماذا شعرت أعاد بعد كل هذه السنوات؟ كيف شكله؟ وكيف هو؟ حقا يثير فضولي فقد كنت كلة ليلة أتحايل شكله ووجوده معنا, أتخيله كل ليلة ولا أجده, فلماذا يعود الآن, تحركت مشاعري فانفجرت من البكاء وسألتها هل تحدثني معه وماذا حصل فقالت لي إنها حين رأته اختبأت كي لا يراها لكنها بقيت تنظر إليه

وبصمت وهو يدير ظهره ويرحل بعيدا ولم تحزن أبدا ولم تصرخ عاليا لتنادي عليه ولم تتوسلن ليبقى بقيت تنظر إليه وهو يغادر وكانه غريب لا يعني لها شيئا لكن بكاؤها الآن هو علي لأنني عشت بلا أب, احتضنتها بقوة وقلت لها أنا لا أريده فهو لم يكن موجودا سوى في خيالي ولن يكون موجودا ابدا, رن هاتف المنزل واذ بزوجة السيد اشرف تتصل بنا وتدعونا لتناول العشاء عندهم فقبلت امي بذلك وتكلما طويلا على الهاتف وضحكا كثيرا, سالت امي هل تعرفينها فقالت لي اجل انهما اصدقاء قدامى لنا لكنني اردت ان اغلق الماضي وان ابتعد عن الاشخاص الذين نعرفهم وفي اليوم التالي لم نذهب الى المخيطة فقد بقينا نرتب انفسنا ونرتب المنزل لنقبل دعوتهم على العشاء, كنت اريد الاتصال بالسيد علي لكني اردت ان اغيب طويلا حتى يفتقدني ويبحث عني, وفي المساء ذهبنا اليهم كان استقبالهم لنا من اجمل ما رأته عيني فقد كان الحب واضحا على أمي وأم عاصم أما والده فقد سلم على أمي وضحكا عندما تذكرا الماضي أما أنا وعاصم فقد تبادلنا النظرات, كم كنا سعداء إلى أن دق جرس الباب ففتحت

الخادمة وجاءت لتخبرهم بان السيد علي على الباب حدقوا جميعا بعضهم ببعض شعرت بان قلبي خفق سريعا بينما أمي أصفر لون وجهها أيعقل أنه والدي؟ وعندما دخل لم أستطع التحمل فقد أصبت بفقدان الوعي لقد كان القبطان علي هو نفسه والدي, واستيقظت وأنا على السرير في المستشفى لا أعلم ماذا جرى لي وجدت أمي تقف عند راسي وعلي جانبها عاصم ولم أجد السيد علي أردته أن يفتقدني ويا ليتني لم احلم بذلك, لقد كان هو نفسه والدي الذي التقيت به في تلك الليلة تذكرت كل شئ بيننا وكيف كنت اعتبره ملجاي الامن هو نفسه الرجل الذي تخلى عنا منذ عشرون عاما, بكيت كثيرا حتى انني تمنيت ان لا استيقظ من غيبوبتي بينما جلست امي على الكرسي تبكي بحرقة لا اعلم اتبكي علي ام على نفسها ام على الزمان الذي ضاع منها.

الفصل الحادي عشر (علي)

لقد شهقت روحي عندما عرفت بان سلمى هي ابنتي, كيف فعلت بهم ذلك وكيف تركتها, اعلم انها لن تغفر لي مهما حدث فانا لم اكن موجودا باول خطوة خطتها ولا اول كلمة نطقتها ولا نجاحها ولا مرضها فانا كنت غائب عن هذا كله اعلم انني لا استحق فرصة اخرى لكنني جئت طالبا من عيونها ان تسامحاني.

" علي "

عندما قررت العمل في التجارة لم أكن أملك إلا القليل من المال كنت واثقا بأنني سأحقق نجاحا كبيرة لكنني خسرت المرأة التي أحببتها ،لم يكن هنالك سبب مقنع لما فعلته بها ،أحيانا كنت أشعر بأنني تزوجتها مبكرا في بداية شبابي ، لم أكن لأسمح بأن تكون حياتي مرتبطة بأي شئ ،كنت أكره الارتباط كم كان يعيقني ويمنعني من إكمال حياتي بالطريقة التي أريدها، نعم فنحن الرجال نغادر إن وجدنا موطنا آخر ، نحاول أن نعيش كما نريد ....ننسى بأن هنالك أنثى لا تنسى ، تبقى في ذاكرتنا مدى الحياة .

في أول يوم في بيروت لم أعرف ماذا سأفعل بالمال الذي حصلت عليه في البلدية ، لكنني كنت واثقا بأنني سأفتح

مشروعا يجعلني لا أحتاج أي أحد لا بل سيمكنني من العيش برغد طوال حياتي .

في طفولتي الصعبة قضيت أيام وسنوات لوحدي طفل يبحث عن والدته التي غادرت المنزل دون عودة ، لقد تركتنا أطفالا لتبحث عن سعادتها بعيدا عن أبي ، لقد عشت حياة باردة وقاسية تخلو من الحب فكيف لي أن أحب فتاة ؟! أو أن أعيش لأجل امرأة ؟!

الخيانة التي قامت بها والدتي أفقدتني القدرة على الثقة بأي امرأة مهما كنت أحبها، كل ما عشته في الماضي كان سببا لما أنا عليه الآن ....

أنا حزين لأجل الطفولة التي لم أعيشها والفقدان الذي اعتدت عليه في السابق ، لقد تغيرت وجهتي في الحياة وتغيرت كثيرا عن السابق ، لا أعلم كيف وقعت في الحب ؟! مضى أكثر من عشرون عاما وأنا أنادي باسمها ، لم أعلم بأن لدي ابنة لقد خبأت حملها عني ، لا أعلم كيف سأسامحها على ذلك ؟!

لم أستطع يوما نسيان ذلك اليوم الذي جمعت به أمي حقيبة ملابسها ومجوهراتها لتغادر المنزل دون عودة ، لقد فضلت العيش بعيدا عن والدي وذلك بسبب فقره ، عندما كبرت عرفت بأنها تركته بسبب فقره ، لم تستطع تحمل العيش معه غادرت وتركت لنا مكانا خاليا وإلى الأبد .

دوما كنت ألومها ذلك اللوم الذي جعلني أبدو شخصا قاسيا رغم أن هنالك مكان في قلبي دافئ ونظيف لم يمسه أي سوء ، لكنني عندما تزوجت تغيرت كثيرا بدأ لي وكأن قسوة الماضي تأخذ مكانها ، لقد كان الشك يقتلني فلم أستطع إكمال حياتي مع المرأة التي أحببتها .

لكن اليوم رمت عليّ بخيبة أخرى لم أكن لأتحملها مهما حدث في حياتي ....أنني أب ....

لم أكن لأترك سلمى مهما حدث وحيدة في هذا العالم ، رغم أنني لم أكن لأثق بزوجتي لكنني لم أكن أرغب بأن يعيش أبنائي ما عشته في السابق .

أحببت سلمى كثيرا وتعلقت بها دون أن أعلم بأنها ابنتي ، كيف لي أن أجتاح حياتها ؟!

عملت في التجارة لم أكن لأرضى بأي مكانة أقل مما أستحق ، لقد كنت أجيد البيع في العقارات والاستثمارات التي بسببها جنيت الكثير من الأموال الطائلة، تعرفت على الكثير من النساء ....كانت أفكاري مقيدة جدا بشأن علاقتي مع النساء فقد كنت أنظر إليهن على أنهن سلعة يمكن شراؤها بأي ثمن ، قضيت عمري على هذا النحو رأيت الخيانة في عيون الكثير من النساء ، فأنا رجل لم ينشأ في بيئة مرفهة ، ولم تذهب عن بالي زواج أمي من رجل آخر ، لم أنسى يوما بأنها غادرت المنزل من أجل المال ، تخلت عنّا من أجل أن تعيش حياتها مع رجل آخر .

كم هيّ الطفولة موجعة حين نستيقظ صباحا دون وجود أم في المنزل وكيف يكون موجعا حين نشهد مغادرتها المنزل لأجل نفسها .

بقيت عالقا في الماضي إلى أن غادرت منزلي ، شعرت بأنني مقيدا وليس حرا ، رغم علاقاتي المتعددة والحياة التي عشتها ، فكرت كثيرا .... بأن أعود إلى المنزل لكنني تراجعت كثيرا ، لم أكن قادرا على إكمال الطريق معها .

قد نتخذ قرارات كثيرة في حياتنا ونظن بأننا على الصواب لكن نعرف الحقيقة في وقت متأخر ...متأخر جدا ....

عرفت بأن سمراء لم تتزوج بعدي وبأنها بقيت لوحدها طوال السنوات التي قضيتها بعيدا عنها ، أنجبت سلمى وبقيت تعمل في الخياطة لتأمين لقمة عيشها ، لقد صدمني الواقع بحقيقة كنت أخشى أن تكون الحقيقة ، لقد ظننت بأنها تزوجت من غيري وأنجبت عدة أطفال ....لقد أسأت كثيرا في حقها لكن ما فائدة الندم ؟!

غادرت المستشفى دون أن أتحدث بأي كلمة ، دفعت التكاليف المترتبة وذهبت إلى الصياد ....صديقي الذي لم أمل من الذهاب إليه ....

وصلت عنده كنت أحبس دموعي كما شعرت بثقل لساني فلم أكن قادرا على التحدث معه بأي كلمه ، سلمت عليه فعرف بأنني مثقل من نفسي ، سحب الكرسي وقال لي : اجلس هنا ، أخبرني ماذا حصل معك ؟!

قلت له : لقد عرفت بأن سلمى هي ابنتي ، تفاجأ قائلا لي : كيف ذلك ؟!

أخبرته عن القصة فقال لي : لا تقلق يا صديقي ، إنني لا أعرف ما أقوله لك لكن لكل مشكلة حل ، لكنني ألومك يا علي أنت تركتها دون سبب ، بسبب أوهام رسمتها مخيلتك .

" سلمى "

اتكأت على أمي وعدنا إلى المنزل لم أستطع النظر إلى عيونها ، شعرت بأنني ارتكبت خطأ كبيرا ، لقد عدت به إلى حياتنا بعد أن تركنا وغادر ، اعتبرته متوفي فقد عشت يتيمة رغم وجوده على قيد الحياة .

تذكرت عدد المرات التي قابلته بها ، كم مرة عانقته وشعرت بأنني أنتمي إليه ، لم أكن لأصدق مدى قرابة الدم إلا بعدما عرفته ، شعرت بأنني جزءا من عالمه ، أحببته كثيرا لكن اليوم كيف عليّ اللقاء به مرة أخرى بعد معرفتي بأنه والدي .

جلست مع أمي التي بقيت صامتة دون أي كلام ، قلت لها : لم أكن أعلم بأنه والدي ، لم أكن أعلم ذلك نظرت إليّ قائلة : كم مرة أخبرتك بأن تصغي إلى كلامي ، كم مرة يا سلمى

؟! قلت لها مطأطأة راسي : أعتذر يا أمي ، فقالت لي : لا بأس ، اتريدين معرفة والدك ؟! هل عرفته الآن ؟! كانت غاضبة جدا ، ولم أعرف ماذا عليّ أن أقول لها .

الشكر الكبير لمن قدم لي الدعم من عائلتي وأصدقائي وغاليتي وقرة عيني أمي الغالية.

تم بحمد الله